الشيخ عبدالرزاق محمود حبيب الهيتي (رحمه الله) ومسيرته العلمية والعملية

إعداد

أ.د. اسماعيل عبدالرزاق –كلية الامام الاعظم

و أ.م.د. محمود ابراهيم– جامعة الانبار

m_h_do1975

كلية القانون

issn:2071-6028

issn:2071-6028

المقدمة

الحمد لله الذي اختص أهل العلم من فضله بما يشاء ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل الخلق ومعلم العلماء ، وعلى آله وأصحابه الغر الميامين الفضلاء ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد :

فان الله تعالى أمر عباده بعبادته فقال : (وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)[١] وان أفضل العبادات بعد الفرائض طلب العلم ، فقد فضل الله تعالى أهل العلم وأعطاهم منزلة كريمة ودرجة عظيمة فقال : (شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)[٢] وقال تعالى أيضا : (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)[٣] وقال رسول الله (ﷺ) (مَا أَعْلَمُ عَمَلًا أَفْضَلَ مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ وَحِفْظِهِ لِمَنْ أَرَادَ اللَّهَ تَعَالَى بِهِ خَيْرًا)[٤] ، وقد سعى الرعيل الأول من أصحاب النبي في طلبه حتى برز فيه أناس عُرفوا به فان الصفوة منهم هم الذين عرفوا بالعلم واشتهروا به وكذلك كان حال التابعين وتابعيهم (رحمهم الله أجمعين) .

وهكذا استمر طريق العلم يسلكه أهل الفضل والصلاح ممن عرفوا للعلم فضله فتعبدوا الله تعالى به حتى حظاهم الله بفضله وبركة ما طلبوا من اجله ، فحفظهم به وبارك بهم ، فبقيت آثارهم وأخبارهم نجوماً ساطعة تتلألأ في سماء العلم وأهله .

ومن أولئك الذين اختاروا هذا الطريق فربى نفسه على طلب العلم هو فضيلة الشيخ (عبد الرزاق محمود آل حبيب الهيتي المؤذني الدوسري – رحمه الله تعالى –) والذي ولد بين أحضان الصلحاء وتربى في عز الفضلاء فذاق شهد العلم وحبه حتى عد في مصافّ العلماء .

ومن تتبع السيرة العطرة للشيخ عبد الرزاق (رحمه الله) يجد حياته مليئة بالمكارم والفضائل والسجايا التي قد لا توجد إلا عند القليل من أمثاله ، وكذلك حبه للعلم وأهله ممزوجاً بالتقوى والصلاح وشغفه بالمساجد وإعمارها والإسهام في المشاريع الخيرية التي أصبحت جزءاً مهماً لم ينفك عنه طيلة حياته .

---

(١) – سورة الحج من الآية (٧٧)

(٢) – سورة آل عمران الآية (١٨)

(٣) – سورة المجادلة من الآية (١١)

(٤) – مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي) أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي (ت ٢٥٥هـ) تحقيق: حسين سليم أسد الداراني دار المغني للنشر والتوزيع، السعودية ، ط١، (١٤١٢ هـ – ٢٠٠٠ م)، ٣٥٢/١ برقم (٥٣٥) باب فضل العلم ، وقال حسين سليم أسد : حديث صحيح .

issn:2071-6028

ونحن في هذا البحث نتناول الشيخ عبد الرزاق (رحمه الله) في جوانب حياته كافة من ولادته إلى وفاته نركز فيه على أبرز ما اهتم به في حياته سواء في مسيرته العلمية أو العملية .

ولذا فاقتضت خطة البحث أن يكون على عشرة مطالب :

المطلب الأول : (سيرته الذاتية) وتضمن عدة نواحٍ

المطلب الثاني : (طلبه للعلم – ومسيرته العلمية والعملية) وتضمن فرعين

المطلب الثالث : (شيوخه – أقرانه – طلابه) وتضمن ثلاثة نواحٍ

المطلب الرابع : (مذهبه وبعض فتاواه)

المطلب الخامس : (جهوده في الدعوة)

المطلب السادس : (تصوفه)

المطلب السابع : (رعايته للأيتام والفقراء والمساكين)

المطلب الثامن : (علاقاته الاجتماعية)

المطلب التاسع : (الحالة السياسية)

المطلب العاشر : (بعض وصاياه وما كان يفيد به طلابه)

ثم ختمنا هذا البحث بقصيدة رثاه بها أحد تلاميذه بين من خلالها بعض مئاثره وصفاته وسجاياه ونود أن ننبه إلى أننا تعرضنا لذكر بعض أهل العلم ممن كان لهم علاقة بالشيخ رحمه الله ولم نذكر ترجمة لأكثرهم لأنهم أشهر من أن يعرفوا ، أو لم يكن هناك داعي لذكرهم حسب اجتهادنا واقتصرنا على ذكر البعض منهم سواء في صلب البحث أو في الهامش بحسب الحاجة .

أما أهم المصادر التي اعتُمدت في البحث فتمثلت بالنقولات التي نقلت عن الشخصيات التي عاصرته في أيام طلبه للعلم أو في حياته العملية ونذكر بعضا منهم في ثنايا البحث ونلك من خلال الدراسة الميدانية التي أجريت عن طريق اتصالنا بهم ، وكذلك ما كتبه عنه زملاؤه وأبناؤه وطلابه الذين أفادونا بمعلومات وافية عنه جزاهم الله خيرا ، ومن المصادر المهمة التي اعتمدت أيضا كتبه الخاصة ودفاتره التي كان يدرس فيها أيام طلبه للعلم ، وكذلك إضبارته الخاصة وكذلك إضبارة جامع هيت الشرقي فلا زالت رعاية الله تعالى تلحظ ذلك التاريخ العريق .

هذا ونسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم وان يكتب ذلك في صحيفة أعماله وأعمالنا وان يكون من العلوم التي ينتفع بها في آخرته انه سميع مجيب وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الباحثان

issn:2071-6028

المطلب الأول

(اسم الشيخ _ ولادته _ نشأته _ صفاته _ عمله وتكسبه _ وفاته)

أولا : ولادته :

ولد الشيخ عبد الرزاق محمود حبيب (رحمه الله) في قلعة هيت (الولاية) إحدى مدن محافظة الانبار في العراق في عام (١٣٤٥هـ) الموافق (١٩٢٦م) .

ثانيا : أسمه ونسبه :

هو الشيخ (عبد الرزاق بن محمود بن حبيب بن ياس بن خضير بن جاسم بن زكري بن حاج جاسم بن حاج محمد بن حاج أحمد بن حاج جاسم بن حاج محمد بن فهد بن زايد – وزايد من عشيرة الـ (بو صالح) الساكنين في وادي الدواسر في نجد ويرجعون إلى فخذ {البودارين})[1] هكذا وُجد نسبه مكتوباً بخط يده نقلاً عن والده (رحمه الله) ويُلقب بـ(الهيتي) نسبة إلى مكان ولادته ، و(الدوسري) نسبة لعشيرته ، و(المؤذني) نسبة للقب مهنة عشيرة الدواسر في هيت .

ثالثا : نشأته :

نشأ الشيخ عبد الرزاق (رحمه الله) بين أحضان والده المرحوم (محمود حبيب ياس) والذي كان رجلا صالحا محبا للعلم والعلماء وكان عمله نساجا للفرش والملابس ، كان يجيد قراءة القرآن الكريم ويعلم أولاده قراءته وهو يزاول عمله ، فقد تعلم الشيخ (رحمه الله) قراءة القرآن على يد والده فنشأ (رحمه الله) مع صوت القرآن الكريم الذي يسمعه من والده آناء الليل وأطراف النهار حتى تعلمه منه تلقيا فضبطه قراءة وسماعا واتقانا منذ صغره ، كما انه انضم لمدارس تعليم القرآن الكريم في مقتبل عمره عند (الملا . أو الكتّاب) ، فنشأ الشيخ (رحمه الله) محباً للعلم وأهله ، مجالساً لأهل القرآن وخاصتهم حتى اكتسب من صفاتهم واستفاد من وعظهم وإرشادهم فترعرع في تلك البيئة الصالحة الطيبة .

رابعا : صفاته وأخلاقه :

إن صفات الشيخ وأخلاقه عاطرة بسجايا يندر تكاملها عند كثير من أقرانه كتوافرها فيه ، كان (رحمه الله) دمث الخلق متواضعاً عفيفاً حيياً حليماً سمحاً بشوشاً هيناً ليناً دؤوباً في عمله مجداً فيه ، شديداً في الحق لا يخاف في الله لومة لائم وكان غضبه تعجباً ، وكان (رحمه الله) ذا بال طويل رحب الصدر سليم القلب طيباً .

(١) – وجدت ذلك في كشكوله الخاص

issn:2071-6028

وكان (رحمه الله) كريماً ذا مروءة شهماً ماجداً حسن الرفقة ، يقول الشيخ عبد الغفور فوّاز الهيتي (رحمه الله) عندما نعاه : (... وأما كرمك في بيتك فلم أرَ مثله حيث أنني كنت في جنوب العراق مع شيوخهم وفي بغداد وأطرافها كذلك فو الله لم أرَ نفساً كريمة كنفسك الطيبة الطاهرة ولا كرما ككرمك وتُشعر الضيف وكأنه واحد من العائلة فينطبق عليك قول الإمام عبد الله بن المبارك (رضي الله عنه) نزيل هيت ودفينها :

يا ضيفنا لو جئتنا لوجدتنا نحن الضيوف وأنت رب المنزل[1])

ويقول الدكتور إسماعيل عبد الرزاق يقول أستاذنا الشيخ الدكتور هاشم جميل : (أحب والدك لخصلتين إحداهما كرمه فما لقيت أكرم منه والأخرى جمال صوته في أدائه لقراءة القرآن في الصلاة فما يمل سامعه من تلاوته الحنونة الخاشعة) .

كان جامعاً لخصال البر والخير ومنها حسن عشرته مع أصحابه وأهله ، كان زاهدا فجعل المال بيده لا بقلبه ويعمل بيده وعرق جبينه فلم يمنعه كبر سنه وموقعه الاجتماعي أن يأخذ حد كفايته المشروع من متاع الحياة ليصون به نفسه وأهله عن الحرام .

أما هيئته فكان (رحمه الله) قصير القامة مربوعاً يرتدي عمامته البهية التي يغطيها خمار ابيض يعرف بـ (الغترة) ويرتدي (العباية) وهو لباسه المعهود بين الناس فلا تراه إلا وهو بزيه الشرعي المعهود الذي عهده الناس به .

خامسا : عمله وتكسبه :

كان (رحمه الله) قبل أن يدخل طلب العلم وفي بداية طلبه يعمل في استخراج معدن القار ونقله وتجهيزه ، وكان يراجع واجباته مستظهراً لها وهو على ظهر دابته في ذهابه وإيابه إلى المقلع .

ومما ينقل عنه أيضا انه كان عنده محل تجاري (دكان) في ساحة باب الشرقي وموقعها مقابل مسجد (ست نفيسة) في قلعة هيت (لولاية) قرب دار أهله فكان هو وبعض إخوته يبيعون فيها القماش والغذائية والعطارية ونحوها إضافة إلى عمله نساجاً مع والده أحيانا .

ولما استقر في هيت بعد طلب العلم بدأ بمراجعة أرضه الزراعية التي ورثها عن آبائه فكان يأخذنا – نحن أولاده وأحفاده – إليها لنعمل فيها معه ويوصينا بان نتمسك بها ويقول أنكم ستنتفعون بهذه الأرض وان العمل عبادة فبقي يعاود مراجعته إليها مع عمله إمام الجامع الشرقي حتى توفي (رحمه لله) يجمع بين العبادة والعمل .

(١)المسظرف من كل فن مستطرف١٩٢\١ .

issn:2071-6028

سادسا : وفاته

توفي (رحمه الله) صبيحة يوم الأربعاء (٢٢- صفر ١٤١١هـ) الموافق (١٩٩٠/٩/١٢) في داره في هيت ، فنعته المآذن يومها وترحم عليه أهل هيت الذين امتلأ بهم المسجد يومئذ لأداء الصلاة عليه ، ووقف الشيخ الدكتور عبد الملك السعدي (حفظه الله) ذلك اليوم وأمام مشيعيه ألقى فيهم كلمة نعى فيها الشيخ وبين فيها مآثره ومكانته وبعض سجاياه ثم صلى عليه هو والحاضرون ثم شُيع بعد ذلك ودُفن في مقبرة (الشيخ احمد) في حي الجمعية بعد أن قضى (٦٣ عاما) كانت حافلة بالعلم والعمل والدعوة والإرشاد نسأل الله تعالى أن يكون ذلك في صحيفة أعماله.

المطلب الثاني

(طلبه للعلم وسيرته العلمية والعملية)

الفرع الأول

طلبه للعلم

كان له في طلب العلم مرحلتان :

المرحلة الأولى : بعد أن أتقن قراءة القرآن الكريم دخل المدرسة الابتدائية النظامية في قضاء هيت ، وبعد الدراسة الابتدائية أو في أثنائها قدم الشيخ (عبد العزيز السالم السامرائي – رحمه الله –) إلى مدينة هيت في مطلع الأربعينيات من القرن الماضي ، وكان من أوائل من بادر للدخول في عداد طلاب المدرسة الدينية الشيخ عبد الرزاق (رحمه الله) وكانت مدة الدراسة فيها ست سنوات وكان مقرها جامع الفاروق في قلعة هيت .

عكف الشيخ عبد الرزاق على يد شيخه الشيخ عبد العزيز السامرائي (رحمه الله) طيلة فترة بقائه في هيت حتى أصبح من خواصه الذين يوليهم الشيخ عبد العزيز عناية ومكانة خاصتين حتى تأثر بشيخه تأثرا كبيرا فأحب العلم كحبه لشيخه وواصل طلبه للعلم حتى تخرج في هذه المدرسة

يقول الشيخ عبد الغفور فواز (رحمه الله) في ورقات نعى فيها الشيخ عبد الرزاق (رحمه الله) : (لقد زاملت المرحوم فضيلة الشيخ عبد الرزاق (رحمه الله) منذ الطفولة في المدارس الابتدائية وفي المدرسة الدينية في جامع الفاروق فكان التلميذ المتميز علينا بخلقه الحسن ودينه المتين والعفو عن المسيء وتقدير وتشجيع المتقدم من الطلاب ، وكان (رحمه الله) إذا اعتدينا عليه وأسأنا المعاملة في حضرته وهو تلميذ معنا ينكر علينا ذلك اشد الإنكار ، وإذا ما رجعنا إليه معتذرين قبل عذرنا بسرعة فائقة وتبسم في وجوهنا وما أحلاها وأعظمها من ابتسامة وعاد إلينا وكأنه الأخ الوفي الشقيق المحب والصديق الحميم) .

issn:2071-6028

كان الشيخ (رحمه الله) حريصاً على طلب العلم فكان حاله حال جميع الطلاب الذين يحضرون عند الشيخ من صلاة الفجر ويبقى عنده – في المدرسة الدينية – إلى ما بعد صلاة العشاء لا يعود إلى البيت إلا لتناول وجبة الطعام أو الاستراحة القليلة في الظهيرة .

بقي (رحمه الله) يطلب العلم على هذه الحال طيلة ست سنوات دراسية أو تزيد على ذلك ، درس فيها جميع العلوم النقلية والعقلية من متون وشروح وحواشي وتعليقات وتوضيحات حتى أتم دراسته في هذه المدرسة بتفوق عام (١٩٥٠م) تركت عنده ملكة علمية وأساساً رصيناً دفعه إلى مواصلة طريق العلم ، إضافة إلى انه كسب حب شيخه له حتى أصبح من خواصه الذين يثق بهم وقليل ما هم .

يذكر الدكتور إسماعيل عبد الرزاق : أن الأستاذ عبد الكريم عبد الرحمن العاني – معلمي آنذاك – يقول : (لم اعرف أحداً من تلامذة الشيخ عبد العزيز أكثر اقتداءً به من الحاج عبد الرزاق آنذاك إلى حد أني رايته يمشي خلفه وينظر إليه أينما يضع قدمه وضعها فوق موضعها ، وإذا رآه وضع العباءة على رأسه وضع عباءته على رأسه أيضا) .

وبعد أن أتم دراسته في مدرسة هيت الدينية ومنح شهادة المدارس الدينية التابعة لمديرية الأوقاف العامة عُين إماما وخطيبا في جامع القاضي في قضاء (عنه) عام (١٩٥٠) وبقي في قضاء عنه يشغل هذه الجهة إماما وخطيبا أكثر من سنتين ، ثم نقل واعظا سيّاراً في قضاء راوة عام (١٩٥٣).

وبعد عام تقريبا أو اقل أصبحت جهة الإمامة في جامع هيت الشرقي شاغرة حيث كان (ملا جمعة حنتوش) والد الحاج كريم إماما فيه فوافاه الأجل (رحمه الله) ، عندئذ أشار الشيخ عبد العزيز (رحمه الله) على الحاج عبد الرزاق بان يعود إلى هيت ويستلم وظيفة الإمامة والخطابة في جامع هيت الشرقي وما كان منه (رحمه الله) إلا أن يمتثل أمر شيخه فيعود إلى مسقط رأسه هيت ليتولى هذه المهمة عام (١٩٥٤) .

في السنة ذاتها منح الشيخ عبد العزيزالسامرائي (رحمه الله) (الإجازة العالِمية) للشيخ عبد الرزاق (رحمه الله) والتي كان الشيخ عبد العزيز لا يمنحها إلا لمن يستحقها ممن يعلم منه الرسوخ في العلم وطلب الزيادة فيه ، ومن يقرأ مضامين وبنود هذه الإجازة يجدها صعبة المنال ولا يستطيع الوفاء بها إلا من اخلص لله تعالى في العلم والعمل وأصلح حاله مع الله تعالى قلباً وقالباً ، فضلاً عما فيها من بركة الإتصال بالنبي سنداً ، ومن تواضعه (رحمه الله) انه كتم هذه الإجازة ولم يعلم كثير بها من الناس بل وكثير من أهله إلا بعد وفاته (رحمه الله) حيث وجدت مع أوراقه الخاصة التي يهتم بها اهتماما شديدا ، ومن شدة حرصه عليها والمحافظة عليها لم

issn:2071-6028

نعلم انه أجاز أحدا من تلاميذه ولعل ذلك خشية أن تُبتذل هذه الإجازة وتذهب قيمتها العلمية وينالها من ليس أهلها .

يقول الشيخ عبد الرزاق (رحمه الله) : (دخلت المجلس العلمي للاختبار في بغداد وقد سألونا فيها (١٤سؤالا) وقد أجبتها كلها بفضل الله تعالى ثم بفضل دراستي على يد الشيخ عبد العزيز سالم السامرائي) .

استقر الشيخ عبد الرزاق (رحمه الله) إماما وخطيبا في جامع هيت الشرقي وكان يومها جامعا صغيرا وبأبعاد (١٤*٧) تقريبا وكان سقفه من الخشب والطين كالسقوف القديمة في مدينة هيت فلم يكن بهيئته الحالية ، واستمر يعمل في هذا الجامع بوظيفته وكذلك واعظا في الجامع نفسه وفي القرى المجاورة لهيت ، ويذكر انه قام بتوسيع الجامع في هذه الفترة من وظيفته وهي التوسعة الأولى له فأصبح سقفه من الحديد (الشيلمان) وأعمدته كذلك .

المرحلة الثانية :

إن حرص الشيخ (رحمه الله) على العلم وشدة طلبه له دفعته إلى الرحيل في مواصلة طلبه وان يعيده مرارا وتكرارا ، وسبب آخر وهو حبه الجم للشيخ عبد العزيز (رحمه الله) وحرصه على طول صحبته للإفادة منه ، فأصر على أن يقبل ولده إبراهيم (حفظه الله) في المدرسة الآصفية الدينية في الفلوجة ليدرس عند الشيخ عبد العزيز فقرر أن يشتري بيتا هناك ويتفرغ مرة أخرى **لطلب العلم وفعلا أخذ إجازة رسمية من وظيفته في الجامع الشرقي وأناب مكانه الشيخ إسماعيل جلوب وانتقل بجميع أفراد عائلته إلى الفلوجة عام (١٩٦٢م) ليبدأ المرحلة الثانية له في طلب العلم .**

يقول الحاج عبد الرزاق توفيق (حفظه الله) قال لي الشيخ عبد الرزاق (رحمه الله) يوما : (عندما ذهبت إلى عنة لم أر نفسي مؤهلا لإفتاء الناس ، فحرصت على العودة إلى أحضان الشيخ عبد العزيز لأكمل الصف (الاثني عشر) لأني درست في هيت ست سنوات فقط) ، وهذا دليل واضح على علوّ همته في طلب العلم وحبه الجم لأهله واستزادته من العلوم والمعارف التي تمكنه من حمل الإجازة العالِمية والقيام بحقها وتأهله لمنصب الإفتاء والترجيح .

وفعلاً أقدم إلى ما عزم عليه فانتقل إلى مدينة الفلوجة وانطلق يواصل دراسته على يد الشيخ عبد العزيز مرة أخرى ، حيث لم يمنعه كبر سنه أو موقعه الذي شغله بكونه إماما وخطيبا في اكبر جوامع هيت أو انه أصبح عنده من الأعمال ما يمنعه عن تحصيل ما يهدف إليه ، فواصل دراسته (رحمه الله) حتى أتم ست سنوات أخرى يطلب فيها العلم عند الشيخ عبد العزيز (رحمه الله) فمُنح شهادة الثاني عشر المعادلة للشهادة الثانوية آنذاك وتخرج من هذه المرحلة متفوقاً عام (١٩٦٧) وكان ترتيبه الأول لنيله العلامات الكاملة في جميع المواد التي درسها في تلك السنة .

issn:2071-6028

الفرع الثاني

مسيرته العملية

وبعد عودته من الفلوجة اتجه اتجاها آخر في تطوير حياته العلمية والعملية معا وذلك في نواحٍ متعددة :

الناحية الأولى : الاهتمام البالغ بجامع هيت الشرقي بناءً وإدارة :

إن أول ما بدأ به بعد عودته من الفلوجة هو توسيع الجامع الشرقي يقول ولده الدكتور إبراهيم (حفظه الله) في ورقات كتبها عن والده الشيخ عبد الرزاق (رحمه الله) : (وبعد عودته من إكماله المرحلة الثانية من طلب العلم أصبح ينظر إلى مساحة الجامع بأنها صغيرة لا تتجاوز مساحته العمومية (٥٠٠م) هو ومشتملاته وحديقته وفناءه ، وهذا لا يتناسب مع الموقع الجغرافي للجامع فانه يقع في السوق العام لمركز قضاء هيت كما لا يتناسب مع موقع الجامع وتوسع المدينة العمراني ، وكانت هناك بنايات ملاصقة للمسجد منها ما هو للحكومة في وقتها كبناية (السراي) ودائرة المالية ومركز الشرطة السابق ، ومنها ما تعود للأهالي كبيت الحاج صالح هدلة وغيرها من البيوتات الأخرى ، فشمر عن يديه وواصل ليله بنهاره لاستملاك تلك المساحات من مالكيها (الحكومية منها والأهلية) حتى وفقه الله تعالى لاستملاكها جميعها بمساعدة المحسنين من أهالي هيت وغيرهم وكان ذلك كله قبل توسيع المسجد وبناءه بأمر من مديرية الأوقاف العامة والتي رصدت مبلغا لبناء الجامع لا يكفي لما يطمح له من إظهار الجامع بالمظهر الذي يليق به إضافة إلى المنارة ، فاستحصل (رحمه الله) موافقة وزارة الداخلية لجمع التبرعات من المحسنين داخل القطر وخارجه حتى أصبح الجامع بفضل الله تعالى ثم بجهوده المباركة معلما من المعالم الإسلامية في المحافظة التي يُشار إليها بالبنان .

وبعد أن أكمل الجامع ولم يبق بباله سوى مساحة صغيرة تقع في مدخل المسجد والتي تعود لورثة الحاج جلعوط (رحمه الله) حيث حاول معهم مرارا وتكرارا لاستملاكها للمسجد إلا أنهم كانوا يطلبون مبالغ خيالية في حينها أملاً منهم ان يبتعد عن شرائها ولكن همته (رحمه الله) كانت اكبر من ذلك الخيال ، فجئت ذات يوم من الفلوجة وكانت محل سكناي آنذاك فدخلت السوق فوجدت والدي (رحمه الله) جالسا على درج مدخل الجامع وكان هذا قبل وفاته بـ(شهر تقريباً) وهو مهموم حزين كئيب فسألته ما الذي ببالك وما يقلقك ؟ فقال : ما بي شيء إلا أني أريد أن أستملك هذه القطعة إلى الجامع مع أنها لا تتجاوز (٧٠متر مربع) وأهلها يطلبون مبالغ خيالية وليس معي إلا ثلثها ، فقلت له : لا عليك نذهب إلى بغداد غدا ونجمع التبرعات لنحاول إكمال المبلغ لشرائها ، وفي اليوم التالي ذهبنا إلى بغداد وبتوفيق الله تعالى وتيسيره استطعنا جمع المبلغ من أهل الخير

issn:2071-6028

والإحسان في حينها ، وبعد أن تم المبلغ المطلوب وانتهى من صلاة الظهر (رحمه الله) قال : سأصلي ركعتين شكرا لله تعالى على إكمال جمع المبلغ وإذا مت فأموت مرتاحا ، وقال لي : أنت تذهب بهذا المبلغ إلى هيت وأنا أبقى هنا لأراجع الطبيب ، فسافرت بعد الظهر إلى هيت لتسديد المبلغ لأهله فتفاجأ ورثة الحاج جلعوط بإكمال المبلغ لأنهم كانوا يظنون أن أبي يعجز عن توفيره ، وبفضل الله تعالى تم تحويل هذه القطعة باسم الأوقاف وشاء قدر الله تعالى أن تكون وفاته (رحمه الله) بعد هذا الأمر بخمسة عشرة يوما) .

فوجد الشيخ الدكتور عبد الملك السعدي (حفظه الله) تعبيرا لرؤيا رآها قبل موت الشيخ عبد الرزاق (رحمه الله) ولم يذكرها ، لكنه ذكرها أمام مشيعيه الذين امتلأ بهم الجامع يوم وفاته وكان الشيخ عبد الملك يعلم جهوده المبذولة لاستملاك هذه الأرض وقد رافقه في بعض جولاته لجمع التبرعات لإتمام ذلك المبلغ ، قال الشيخ عبد الملك في التشييع آنذاك : (رأيت قبل أيام وكأن الشيخ عبد الرزاق قد توفي وقد دفن في هذه الأرض التي ضمت أخيرا إلى الجامع) ، ويذكر أن الشيخ عبد الملك كان يقول للشيخ عبد الرزاق (رحمه الله) وهو يخفف من غضبه قبل تمليك هذه الأرض للجامع : يا شيخ لاتحزن فالجامع الشرقي اكبر جوامع هيت ولا تضره هذه المساحة الصغيرة ، فيجيبه (رحمه الله) لا ارتاح حتى أضمها إلى الجامع. وهكذا كانت العلاقة بين الشيخ عبد الرزاق (رحمه الله) وبين الجامع الشرقي .

ويؤكد هذه العلاقة الوطيدة الحاج رياض جميل أبو الطيب[1] حيث يقول : كنت اعمل في التأسيسات الكهربائية في الجامع أثناء التعمير الأخير عام (٢٠٠٥) ، وفي عملية مد السلك الكهربائي للمكيفات قصرت الأسلاك عن إيصال آخر مكيف في الجامع ، فأهملت الأمر وتركت ذلك الإيصال لاغياً له لقلة الأسلاك ، وفي اليوم التالي جاءني سعد جمعة ابن أخ الشيخ (رحمه الله) فقال أنت الآن تعمل بالكهربائيات في الجامع ؟ فقلت له نعم ، فقال : البارحة رأيت رؤيا فإذا بالشيخ عبد الرزاق أخذ بيدك على هذه المكان وأشار إلى نفس المكان التي قصر بها السلك في اليوم الماضي ويقول لك (ليش تركت هذا المكان؟ لا تبخل بشي علجامع) فهكذا هو التمازج بين روحه الطاهرة وبين الجامع الشرقي .

ويُجمع أقران الشيخ ومعاصروه وأقرباءه وخواصه انه بذل وقته وجهده وطاقته في سبيل تحقيق غايته الأسمى التي طالما يسعى لها بان يظهر الجامع الشرقي بالمظهر الذي يليق به ، فلما علم الله تعالى صدق النيات الخالصة وحسن التوكل فيها هيأ رجالا قاموا بإنشاء ذلك الصرح

(١) – هو الحاج رياض جميل ربيع ابو الطيب الهيتي كان ممن يرافق الشيخ رحمه الله في المسجد ومن المعجبين به ولا زال يذكره بخير وحسن إدارته للجامع ورعايته له .

issn:2071-6028

الإسلامي الذي بقي ذكره مقروناً باسم الحاج عبد الرزاق (رحمه الله) فمنذ أن دخل الشيخ عبد الرزاق الجامع الشرقي والى يومنا هذا لا يذكر أهل هيت أو غيرهم الجامع الشرقي إلا ويذكرون معه الشيخ عبد الرزاق (رحمه الله تعالى) .

يقول الدكتور احمد جمعة[١] في هذا الجانب : (أما في إدارته للمسجد فلا زال من يعرفه يردد عبارة (الجامع في أيام حجي عبد الرزاق) وهي حقبة جعلت منه يذكر عند كل صلاة ، وليصفني من يقرأ هذه الكلمات بالمبالغ وحكمي هذا الذي قلته جاء من معرفتي بأنه كان قد مثل معنى الورع الحقيقي في كل شيء يخص الجامع – أما إمامته في هذا الجامع فيصفها بقوله – فهو في الإمامة ما زال الإمام المتفق على القبول بإمامته عند الناس ، ولم يكن ذلك من قصر الصلاة التي يظن بعضنا أنها هي السبب ، بل الأمر ناجم عن شيء يمكن أن تصفه بالسر الذي لا يُعرف ، لان الناس كانوا يصلون خلف من هو أقصر صلاةً منه ، لكن طعماً مميزاً كان في الصلاة خلفه ما عاد له وجود ، والذي كان يُذاق من طعم لاستماعك قراءته للقرآن في الصلاة قد لا تجده منه وهو يؤذن – مثلا – عندما يرفع هو الأذان عندما يتأخر المؤذن أحيانا ولهذا أكرر القول : إن في الأمر سرا) .

ويقول الشيخ عبد الرزاق توفيق[٢] : كان يعمل في هذا المسجد بيديه ويقول (إن للبيت ربا يحميه ، وسيكون لهذا الجامع شأن كبير) .

ولعل صوته الشجي وسليقته العربية السليمة وكثيرا من صفاته هي التي استقطبت كثيرا من المصلين الذين كانوا يقصدون الجامع الشرقي لأداء الصلاة فيه على الرغم من بعد موقع سكناهم لما يجدونه من متعة في السماع .

كما ويعلم الجميع انه يعمل احتفالا سنويا بمناسبة المولد النبوي الشريف ويعد الاحتفال المركزي في القضاء ، كانت له أهدافه السامية في توجيه الناس ووعظهم وإرشادهم وتوعيتهم الوعي الإسلامي الصحيح واستغلال هذه المناسبات وأمثالها لنشر الفكر المستقيم من غير غلو أو

---

(١) – هو الدكتور أحمد جمعة محمود حبيب الهيتي : هو ابن أخ الشيخ عبد الرزاق رحمه الله نشأ طالبا للعلم واكمل دراساته الاولية

والعليا في جامعة بغداد حتى نال شهادة الدكتورام عام ٢٠٠١ كان ممن يجالس الشيخ وينقل عنه كثيرا من مواقفه وقد اعتمدته في عدة مواضع من هذا البحث .

(٢) – هو الحاج عبد الرزاق توفيق إبراهيم العاني : من مواليد ١٩٣٧ كان ممن يلازم الشيخ عبد الرزاق رحمه الله منذ دخوله الجامع الشرقي يعد من حفاظ القرآن الكريم في هيت عمل معلما فيها، اعتمدته في كثير من النقولات عن الشيخ رحمه الله .

issn:2071-6028

تطرف ، وبقي هذا الجامع على المنهج ذاته من هذه الناحية في إقامة هذه المناسبة الكريمة واستغلالها فرصة دعوية لتوجيه الناس ووعظهم وإرشادهم .

ولهذه الأسباب وغيرها أصبح جامع هيت الشرقي علما يستدل به الناس على إقامة الشعائر الدينية ومناراً يستنير به القاصي والداني في جميع أنحاء البلاد ، وأصبح الجامع الكبير في القضاء الذي فيه ملتقى الناس فمنه يتوجه الناس وعليه يعتمد الناس في أحكام شعائر دينهم ، وأصبح هذا الجامع ببنائه الحديث على هيئة جذبت قلوب الناس واستهوت مشاعرهم ، وأصبح العلماء والوجهاء والمسئولون حينما يقصدون هيت يعتبرون الجامع الشرقي مركزاً لهم ودار الشيخ (رحمه الله) دار ضيافة واستراحة لهم .

الناحية الثانية : جهوده في بناء المساجد :

اتضح مما تقدم أن الشيخ عبد الرزاق (رحمه الله) أسهم إسهاما كبيرا في بناء جامع هيت الشرقي ومنارته التابعة له ، وبينا كيف كان حريصا على توسيعه وإظهاره بالمظهر الذي يليق به بوصفه الجامع المركزي في القضاء فترك ذلك في نفسه حبا وشغفا في بناء المساجد داخل القضاء وكذلك في القرى والأرياف .

فمن الجوامع التي كان له أثر كبير في إنشائها جامع الإمام عبد الله ابن المبارك (رضي الله عنه) ، حيث يقول الحاج عارف محمد حمد وهو من الرجال المعروفين في هيت : لما اختار الشيخ عبد الرزاق المكان التي بُني عليها جامع عبد الله ابن المبارك كنت احد المعترضين عليه لان المكان كانت البيوت المحيطة به قليلة قياسا بالمساحة التي بني فيها الجامع آنذاك بل كان الاعتراض على المكان نفسه لبعده عن وسط المدينة في وقتها فأجابني الشيخ (رحمه الله) بان هذا المسجد سيكون يوما من الأيام مزدحما بالناس أكثر من غيره وهو ما حصل فعلاً بعد تزاحم البيوت حوله بحيث تعد منطقته أكثر الأحياء ازدحاما بالسكان وها هو يقع على أكثر الشوارع أهمية وأوسعها مساحة في هيت .

وهناك جوامع أخرى داخل قضاء هيت كان له إسهام كبير في إنشائها ورفدها بالأئمة والخطباء ، ومنها جامع إبراهيم الخليل في حي المعلمين وجامع الشهيد إبراهيم كامل في حي الجبل وكثير من الجوامع الأخرى داخل القضاء .

أما خارج القضاء من نواحي هيت وقراها فسل جامع مصخنوسريدية والخالدية وخزرج و (أبو طيبان) والبوحياتوالخفاجية وعددا آخر من الجوامع التي قام بالإشراف على بعضها والإسهام فيها كان (رحمه الله) مولعا بتعمير المساجد والمساهمة فيها وبكل ما يستطيع ، فكل ما كان يشغل باله كيف يجعل في هذا الحي أو ذلك المكان مسجدا فسبحان من أودع في كل قلب ما يشغله ،

issn:2071-6028

فكان سباقا إلى السعي في إنشاءها وإعمارها جدرانا ورجالا فنسأله تعالى أن يجعل ذلك كله في ميزان حسناته .

ومثل هذا الاهتمام الذي كان عند الشيخ في المساجد وتشييدها اهتمامه بالمقابر واحتياجاتها والذي يريد شاهدا على ذلك فتلك هي مقبرة هيت الشرقية والتي تسمى بمقبرة (الشيخ احمد) حيث تعد من أضخم مشاريعه الإسلامية والاجتماعية – بعد الجامع الشرقي – فقد جمع المبالغ الكثيرة من أهالي هيت والمحسنين فيها وبذل كل ما في وسعه لتخصيصها مقبرة وتسييجها ، وذلك حين ضاقت المقابر الصغيرة داخل القضاء فكانت تلك المهمة شاقة ولكن بتوفيق الله تعالى وبهمته العالية وبمساعدة غيره أنجز هذه المهمة وحفظ مكانة قبورها ومساحتها من العبث والاعتداء .

ومن الطرف التي تذكر في هذه المهمة : انه لكثرة مراجعاته إلى أوقاف الرمادي ومركز المحافظة لإنجاز هذه المهمة كان الشيخ صبحي الهيتي (رحمه الله) كثيرا ما يراه جادا في هذا الأمر وكان يستعين به أيضا فكان يمازحه بقوله : (قمنا من نشوفك نتصور المقبرة فتذكرنا بالآخرة) ، وكان بعض أهالي هيت يلوم الشيخ عبد الرزاق (رحمه الله) لإشغاله مساحة كبيرة لهذه المقبرة فلما حدثت الحروب والفتن في البلاد وكثر الشهداء أصبحت هذه المساحة تمتلئ بالموتى ولم تبق منها إلا مساحات يسيرة ولذا بدأ الناس يعملون في البحث عن مكان آخر لأنها بدأت تمتلئ بالموتى وتضيق بهم .

الناحية الثالثة جهة التدريس :

إضافة إلى إنشائه الجامع الشرقي وبالمكانة المعروفة له اتجه اتجاها آخر في طريق العلم ليؤدي زكاة ما اكتسبه من علم طيلة فترة زادت على خمس وعشرين سنة وذلك في مرحلتين مهمتين من حياته العلمية – كما تقدم – فعمل على فتح مدرسة دينية في الجامع ذاته وتمكن من ذلك إلا أن صغر مدينة هيت ووجود مدرستين سابقتين فيها : إحداهما في جامع الفاروق والأخرى في جامع سيدنا عثمان ، وبالمقابل قلة المتوجهين إلى تلك المدارس لذا لم تدم هذه المدرسة طويلا ، فصدر أمر ديواني يأمر بتوحيد المدارس الثلاث في مدرسة سيدنا عثمان بن عفان (رضي الله عنه) الدينية بإدارة الشيخ إبراهيم رحيم جدي (رحمه الله) ويدرّس معه الشيخ عبد الرزاق (رحمه الله) والشيخ ياسين تركي ، فواصل تدريس العلوم الشرعية في هذه المدرسة المباركة .

ومما يذكر في هذا المجال أيضاً : أن الشيخ (رحمه الله) كان يخرج إلى القرى والأرياف يبحث عن طلاب علم متميزين ليدخلهم سلك الطلب والتعليم ، ومن تلك الثمار اليانعة التي أنتجتها تلك الأيادي الطيبة فضيلة الدكتور محمد أمين بكري الكبيسي حيث كان يسكن في إحدى قرى هيت فأتى به الشيخ (رحمه الله) ليطلب العلم عنده فلم يتوقف عن دعوته وحثه إلى ذلك على الرغم

issn:2071-6028

من أن المدعو كان ضعيفا في بصره فخصص له معلما يعلمه القرآن الكريم فوجد فيه استجابة للتلاوة والحفظ غير متوقعة وهذا ما دعاه إلى أن يطلب منه أن يمتحن ليجد سبيلا في طلب العلم الشرعي ، وقد امتحن برعاية منه في تخصيص من يقرأ له في كتب العلم وهو ذا ما حمل الدكتور محمد أمين أن يهدي له رسالته للماجستير .

ولم يكتف الشيخ (رحمه الله) أن يسلك هذا الطريق – طريق العلم – وحده فلما ذاق طعم حلاوته وشهده أراد من أولاده الآخرين أن يسلكوا الطريق ذاته فدفعهم إلى هذا الاتجاه وسعى إلى دخولهم المعاهد الدينية ثم واصلوا الطريق نفسه ليصبحوا بفضل الله تعالى ثم بحرصه عليهم أساتذة وعلماء وموجهين ليكونوا الذرية الصالحة التي تدعو له مع بركة علمه الذي عمل به ، وكذلك صدقاته الجارية التي تركها بعده ، يقول الشيخ الدكتور عبد الملك السعدي (حفظه الله) : (ما رأيت أحدا من تلامذة الشيخ عبد العزيز ادخل أبناءه كلهم المدارس العلمية إلا الشيخ عبد الرزاق والشيخ الشهيد عبد العليم السعدي (رحمهما الله) .

بقي (رحمه الله) يدرّس العلوم الشرعية في تلك المدرسة الدينية إضافة إلى احتوائه طلبة العلم في الجامع الشرقي يتفقدهم ويرعاهم ويتعايش معهم حتى أحبه طلبة العلم ، وبقي يدرس فيها حتى صدر أمر بإغلاق المدارس الدينية التابعة للأوقاف في جميع المحافظة وتوحيدها في مدرسة مركزية واحدة في الانبار تكون تابعة لوزارة التربية ، فافتتح المعهد الإسلامي في الرمادي الذي جمعوا فيه جميع طلاب المدارس الدينية في محافظة الانبار وكان يديرها أستاذنا العلامة الشيخ الدكتور عبد الملك السعدي (حفظه الله) .

ومع هذا بقي طلبة العلم في هيت وأهل المعرفة يقصدون الشيخ عبد الرزاق (رحمه الله) في جامعه ويلتقون عنده يسألونه ويستفتونه ويطلبون المشورة منه حتى أصبح ملتقى لأهل العلم والفضل فكان كثيرا ما يلتقي عنده الشيخ عبد الغفور فواز والشيخ صبحي الهيتي والشيخ ياسين منصور السعدي والشيخ عبد الملك والشيخ عبد العليم وغيرهم من أهل العلم والصلاح حيث كانوا يعتبرون الجامع الشرقي المركز الذي يستقرون عنده .

issn:2071-6028

المطلب الثالث

(شيوخه – أقرانه – تلامذته)

أولاً : شيوخه :

لا نعلم على حد علمنا أن للشيخ (رحمه الله) سوى شيخين :

أحدهما : الشيخ عبد العزيز السالم السامرائي (رحمه الله) ، فحينما دخل طالبا عنده في مدرسة هيت الدينية وجد فيه بغيته فقد عكف عليه سنوات طويلة يتلقى عنده العلم وينهل من معارفه ويتحلى بشمائله حتى أحبه حبا لا يوصف وقد ذكرنا ذلك في عدة مواضع من هذا البحث لذا فانه اقتصر في تلقيه للعلم على الشيخ عبد العزيز دون غيره لما رأى منه من علم جم وتواضع لله تعالى وخلق رفيع ونية صادقة في الطلب ، لذا لم يذكر عنه (رحمه الله) انه طلب العلم عند احد غيره وفي كلا المرحلتين اللتين طلب فيهما العلم سواء في هيت أو في الفلوجة مسيرة خمس وعشرين عاما .

ثانيهما : شيخه في السلوك الروحي العارف بالله (محمد بن احمد بن نبهان الحلبي) من سوريا فقد أثر به أدباً وسلوكا ، فجمع بين التربية الروحية في السلوك والعلم الشرعي على يد الشيخين معاً .

ومما يذكر أن الشيخ عبد الرزاق (رحمه الله) وان لم يكن عنده إلا هذان الشيخان إلا انه كان يلتقى بعلماء عصره الذين كانوا آنذاك أعلاما يُقتدى بهم في العراق ومنهم :

١. الشيخ السيد احمد الراوي (رحمه الله) : وهو من اكبر شيوخ الشيخ عبد العزيز السامرائي ، وكان مدير المدرسة الدينية في سامراء آنذاك ، ويذكر أن الشيخ احمد الراوي كان يزور راوة في العطلة الصيفية وكان أهل راوة ويحبونه كثيرا فيدعونه وهو يقبل دعوتهم ويزورهم في الولائم وغيرها ، ومن حبه للشيخ عبد الرزاق (رحمه الله) كان يرسل إليه في تلك الدعوات حينما كان إماما وخطيبا في عنة .

٢ . الشيخ امجد فيضي الزهاوي (رحمه الله) : عالم العراق ومفتي الديار العراقية في عصره .

٣ . الشيخ طه علوان حسين السامرائي (رحمه الله) : والذي قدم إلى مدينة هيت مديرا للمدرسة الدينية فيها بعد أن انتقل الشيخ عبد العزيز السامرائي إلى الفلوجة .

٤ . الشيخ بشير حداد الحلبي (رحمه الله) : والذي كان مقيما في الجامع الكبير في الفلوجة وكان الشيخ يزوره كثيرا عند مروره بمدينة الفلوجة وكان الشيخ بشير كثيرا ما يزور الشيخ عبد الرزاق في بيته في هيت بين الحين والآخر ولاسيما في المناسبات المتكررة التي كان يقيمها في منزله المبارك.

issn:2071-6028

٥ . الشيخ ضياء الدين الخطيب (رحمه الله) : كان خطيبا في جامع الفاروق والذي أحب أهل هيت وأحبوه ، وليُعلم انه إذا أطلق اسم (الخطيب) في هيت فإنما يراد به الشيخ ضياء الخطيب (رحمه الله) ، يقول الشيخ عبد الرزاق توفيق (حفظه الله) : سألت الشيخ عبد الرزاق حبيب (رحمه الله) عن الشيخ ضياء الخطيب فقال : (والله كلنا لا نلحقه فانه صاحب علم وذو نفس طيبة).

٦ . الشيخ عبد الكريم المدرس (رحمه الله) – مفتي العراق – : وهو آخر من أطلق عليه هذا الاسم ويعرف (بالشيخ بيارة – نسبة إلى مكان ولادته –) ، كان مقيما في جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني (رحمه الله) في بغداد في غرف مخصصة له يدرّس فيها العلم ويلتقي فيها الفضلاء .

٧ . الشيخ عبد القادر عبد الرزاق الخطيب (رحمه الله) : إمام وخطيب جامع الإمام أبي حنيفة (رحمه الله) وهو المعروف على مستوى العراق بخطبته البليغة وسليقته اللغوية وسجعه الذي قل خطيب أن يأتي مثله ، يقول الشيخ ذو النون[١] (رحمه الله) : كنا نزور الشيخ عبد الرزاق في غرفته في الجامع الشرقي نهنئه بالعيد فنجده يسمع خطبة الشيخ عبد القادر الخطيب ويا لها من خطبة بليغة عصماء قل من يأتي بمثلها .

٨ . الشيخ عبد الجبار الراوي (رحمه الله) : وهو احد شيوخ الطريقة النقشبندية فقد زار مدينة هيت نهاية الثمانينات وبقي يراجع دار الشيخ عبد الرزاق (رحمه الله) ثلاثة أيام .

وهناك علماء كثير من أهل عصره كان يلتقي بهم ويتدارس معهم وقد اكتفينا بذكر أبرزهم .

ثانيا : أقرانه :

نشأ الشيخ عبد الرزاق (رحمه الله) في طلب العلم ونشأ معه إخوان له في الطلب ربطتهم أخوة العلم ، تلك الآصرة القوية المتماسكة التي بقيت تجمعهم طول حياتهم ، كان الشيخ طيب المجلس جميل الحديث ظريف الطبع واسع الصدر محبوبا بين أقرانه وجلسائه ، فبقى أقرانه وأصحابه يثنون عليه خيراً بعد وفاته .

فمن أقرانه وأصحابه الذين جمعتهم أيام الدراسة والطلب : الشيخ عبد الغفور فواز والشيخ صبحي الهيتي والشيخ ياسين منصور السعدي والدكتور حمد عبيد الكبيسي والشيخ (رافع عبد الكريم كيلاني والشيخ جاسم الجميلي المعروف بـ (عنيزان))[٢] والشيخ الدكتور عبد الملك السعدي

(١) – ملا ذنون : كما يسميه أهل هيت ويعرفونه بهذا الاسم ، وهو من كبار علماء مدينة هيت الذين آلت إليه الأمور في الإفتاء آخر حياته ، وكان مشتهرا بعلم المواريث حتى أن جميع محافظة الانبار تقصده في ذلك ، بقي أهل هيت يعرفونه بالعلم والورع ورعايته للأيتام والفقراء، حتى توفي رحمه الله عام ٢٠٠٥ .

(٢) – هما من التلاميذ الذين كانوا طلابا عند الشيخ عبد العزيز السامرائي في مدرسة هيت الدينية وكانوا مع الشيخ عبد الرزاق في نفس الطبقة فكانوا يعدون من أقرانه .

issn:2071-6028

والشيخ الدكتور عبد العليم السعدي والشيخ حمزة عباس والشيخ ياسين تركي وغيرهم ممن كان يتواصل معهم بالتزاور ويراجع معهم العلوم التي تلقوها عن شيخهم[١] .

فكان الشيخ (رحمه الله) يلتقي عنده جميع هؤلاء الأعلام حيث يجدون في مجالسة الشيخ الراحة والمتعة ، وكانوا يتذكرون أيامهم الخالية التي قضوها في طلب العلم بحلوها ومرها بعسرها ويسرها وكيف كانوا يتعاملون مع شيخهم الشيخ عبد العزيز (رحمه الله) وكيف يتعامل هو معهم ، وكانت لهذه الجلسات أثرها في مواصلة بعضهم لبعض .

ثالثا : تلاميذه :

مع أن الشيخ (رحمه الله) لم يدرس في المدرسة الدينية فترة طويلة إلا انه ترك أثراً طيباً في نفوس أبنائه طلبة العلم والذين لا زالوا يذكرون أيامه الخالية التي كانوا يدرسون فيها على يديه وسنقتصر على ذكر عدد منهم :

١. الشيخ الدكتور احمد رميض احمد – رحمه الله تعالى –
٢. الشيخ الدكتور إبراهيم عبد الرزاق – ابنه –
٣. الشيخ الدكتور مفلح عبد الواحد محمد سعيد
٤. الشيخ الدكتور سليم ياسين محمد سعيد
٥. الشيخ الدكتور محمد ياسين محمد سعيد
٦. الشيخ الدكتور إسماعيل عبد الرزاق – ابنه –
٧. الشيخ الدكتور عباس خضير – من الفلوجة –
٨. الشيخ الدكتور احمد خضير – من الفلوجة –
٩. الشيخ الدكتور عبد خلف – من الفلوجة –
١٠. الشيخ الدكتور احمد عباس – من الفلوجة –
١١. الشيخ الدكتور حامد فرحان الفهداوي – من الفلوجة –
١٢. الشيخ الدكتور احمد عبد عمر
١٣. الشيخ الدكتور محمود جبير جدي
١٤. الشيخ الدكتور عبد الستار إبراهيم جدي
١٥. الشيخ الدكتور ياسين زيباري – من اربيل –

(١) اغلب من ذكرت من الأعلام في هذا البحث هم من أعلام هذه البلدة الولادة للعلماء كالشيخ عبد الملك والشيخ عبد الغفور فواز وغيرهم ، ولهذا أجد من الإطالة ان اعرف بهم جميعا فهم اعرف من أن يعرفوا ولاسيما على مستوى محافظة الانبار، لذا عدلت عن ترجمتهم .

issn:2071-6028

١٦. الشيخ سليمان علي دوكريه – من سيراليون الافريقية –
١٧. الشيخ ولي حميد – من تركيا –
١٨. الشيخ آصف – من سوريا –
١٩. الشيخ محمد زيباري – من اربيل –
٢٠. الشيخ عبد الله فتحي
٢١. الشيخ الشهيد حمزة عباس – رحمه الله تعالى –
٢٢. الشيخ ذاكر شعموط
٢٣. الشيخ فدعم عبد اللطيف
٢٤. الدكتور محمد أمين بكري الكبيسي
٢٥. الشيخ صلاح الدين عبد الستار
٢٦. الشيخ محمد شهاب حجي احمد – رحمه الله تعالى –
٢٧. الشيخ خالد عبد الرزاق – ابنه –
٢٨. الشيخ الدكتور احمد جمعة
٢٩. الدكتور محمد عبد الرزاق – ابنه –

وممن درس عنده أيضا :

١. شعبان ناصر رزيج
٢. عبد الجبار حمد شاكر
٣. حامد ياسين جلوب
٤. شهاب احمد جدي
٥. عبد المطلب احمد جدي
٦. يوسف جبير جدي
٧ . إبراهيم جبير محيسن
٨. أكرم عبد الوهاب شلاش
٩. خميس شعموط
١٠. كريم كردي

وغيرهم ممن قد تتلمذ على يديه من طلبة العلم في مدرسة عثمان بن عفان الدينية أو كان ممن ينتظم عنده في دروسه التي يلقيها في جامع هيت الشرقي .

issn:2071-6028

يقول الدكتور إسماعيل عبد الرزاق : (كان والدي (رحمه الله) حريصا على طلابه كشيخه عبد العزيز (رحمه الله) شديداً معهم ، ومع طريقته الشديدة هذه في التربية والتعليم إلا أنا كنا نلحظ منه شفقة وحنانا ما رأينا مثله ، فكثيراً ما كنت أخالفه في كثير من المسائل إلى حد أن أغيظه وأتصور انه لم يرض عني بعد ، لكن لم يلبث إلا أن اسمع منه خطابا لينا وسماحة دافئة تجعلني أبادره الاعتذار مباشرة وهكذا كان حريصا على تهذيبنا وتعليمنا وكان هذا حاله مع جميع أبنائه من طلبة العلم) .

المطلب الرابع

مذهبه وبعض فتاواه

من خلال التتبع والاستقراء الدقيق لحياة الشيخ عبد الرزاق (رحمه الله) ومتابعة مسيرته العلمية والعملية نجد أنه بدأ مسلكه العلمي حنفي المذهب ، فكتب بعض كتبه ومنها كتاب (ملتقى الأبحر في الفقه الحنفي – اسمه –الحاج عبد الرزاق محمود الحبيب النساج الحنفي) ويؤكد ذلك تعليقاته وتوضيحاته في كتبه هذه عند دراسته على يد الشيخ عبد العزيز (رحمه الله) أو عند قراءته الخاصة .

ثم سلك بعد ذلك المذهب الشافعي متأثراً بشيخه الشيخ عبد العزيز (رحمه الله) ولاسيما بعد لقاءه بالشيخ العارف بالله محمد بن احمد النبهاني (رحمه الله) .

ومن الطرف التي تذكر هنا : انه عندما ترك المذهب الحنفي إلى المذهب الشافعي صرح الشيخ الجليل عبد الجليل إبراهيم (رحمه الله) – وهو معروف في تعصبه للمذهب الحنفي – قائلا (حجي عبد الرزاق قد غير مذهبه فارتد) أي خرج عن المذهب الذي يعتقد به ويميل إليه .

والحقيقة أن من عاش قريبا من الشيخ عبد الرزاق (رحمه الله) علم يقينا انه صاحب أفق واسع وعقلية فقهية واسعة ، وانه لا يفرق بين مذهب وآخر بل يحترم جميع المذاهب الإسلامية المعتبرة ، ولا ينكر على من يتخذ مذهباً غير مذهبه ، يقول الشيخ عبد الرزاق توفيق سألته عن رأيه في المذاهب فقال (رحمه الله) : (المذاهب الأربعة مثل أربعة (حباب) فيها ماء عذب من أي ماء شربت ارتويت وانتفعت) ، وفي الوقت نفسه كان ينكر أشد الإنكار على من ينكر المذاهب وفضلها أو من لا يتخذ مذهباً معيناً ، وذلك لان المذاهب الإسلامية المعتبرة أجمعت الأمة على قبولها والاعتراف بها واعتمادها ، لذا لا تجد قولاً فقهياً فرعياً إلا وجاء عن طريق تلك المذاهب ، بل لا تجد مذهباً من هذه المذاهب المعتبرة إلا وسلسلة رجاله وإسناده متصلاً اتصالاً صحيحاً بأحد الصحابة الذين يتصل سندهم بالنبي فكان هذا اعتقاده في المذاهب وكفى به فقهاً .

issn:2071-6028

وكان (رحمه الله) لا يفتي من عنده ولا يقول برأيه إطلاقا وإنما يعتمد المصادر والمراجع التي تحيط به في مكتبته الخاصة في الجامع والتي كان يقرأ فيها في أوقات فراغه ، بل كان يقول : (لا يحق لأحد أن يقول برأيه إطلاقا فالباحث الصادق الذي يحسن ويتقن نقل المسألة عن الأئمة المجتهدين ومصادرهم بدقة) ، وكان (رحمه الله) يقرأ يوما في فتاوى للشيخ الدكتور هاشم جميل والشيخ الدكتور عبد الملك السعدي (حفظهما الله) وهما يستعرضان مسألة فقهية بأدلتها ، فاحدهما كتب القول الراجح بقوله (والراجح عندي) والآخر قال (والذي أراه) ونحو ذلك فقال الشيخ عبد الرزاق (رحمه الله) : هذا ليس صحيحاً فليس لهما أن يقولا هذا ، فمن هما تجاه أبي حنيفة والشافعي وغيره ، هكذا كانت نظرته إلى المذاهب الفقهية المعتبرة وأئمتها الذين ينبغي الاعتماد عليهم في معرفة الأحكام الشرعية .

ومع تمسكه الشديد بمذهبه فانه كان يرى القول الفقهي الراجح حيث يقتضيه الدليل أو المصلحة وان كان مع مخالفه فانه يفتي به ، يقول الدكتور إسماعيل عبد الرزاق : (ومن ذلك حين كان الوتر في رمضان يصلى بجماعتين بعد التراويح ، الأحناف بجماعة والشافعية بجماعة وهو يؤمهم بها ، ثم بعد ذلك جعلهما جماعة واحدة سداً لذريعة الفتنة للمبتدئين والمغرضين وجمعا لكلمة الصف ، وللسبب ذاته أيضا كان هو يصلي بالشافعية جماعة أربع ركعات بعد كل جمعة بنية آخر وقت أدركته ولم أصله – وهو ما يراه المذهب الشافعي من الأمر بذلك في البلد الذي تتعدد فيه الجمعة – وحين أشرت عليه أن هناك قولا للشافعية بأنهم يصلونها فرادى إن خشيت الفتنة أفتى به .

ومما يدل على فقهه أيضا : انه كان يرى قلب كفه عند الدعاء عند سؤاله دفع البلاء وكان هناك من ينكر عليه ذلك فكان يبحث عن دليل يؤيد ما يذهب إليه فقلت له : يا أبي قرأت في صحيح مسلم ان النبي كان يفعل ذلك في دعاء الاستسقاء فـ(عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَسْقَى، فَأَشَارَ بِظَهْرِ كَفَّيْهِ إِلَى السَّمَاءِ)[1] فتهلل وجهه أبي فرحاً وقال : نعم والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

ومن فتاواه أيضا في فقه الأحوال الشخصية : كان يرى في المحرم من الرضاع اشتراط خمس رضعات مشبعات شرطا للتحريم متبعا في ذلك مذهب الإمام الشافعي ، إلا انه إذا علم أن الطرفين لم يتزوجا بعد أو لم يحصل عندهما أطفال اخذ بالاحتياط وأفتى على مذهب أبي حنيفة (رحمه الله) والذي لم يشترط عدداً للتحريم وفرق بينهما

(١) – صحيح مسلم : الإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ٦١٢/٢ برقم(٨٩٥) .

issn:2071-6028

ومنها أيضاً : انه كثيراً ما يوقع الطلاق الثلاث بلفظ واحد ثلاثاً لكنه حينما يجد للمستفتي مخرجا على مذهب آخر كان يفتيه به ولاسيما إذا كان عندهما أبناء) .

وكان يقصده الناس في تقسيم المواريث وتوزيع التركة على مستحقيها ، فيقول الشيخ ذو النون (رحمه الله) : (كنت اعتمد كثيراً على الشيخ عبد الرزاق (رحمه الله) وخاصة في المسائل الحساسة كالطلاق والمواريث وكثيراً ما كنت أستشيره واسأله في ذلك واعتمد قوله ، فلما توفي (رحمه الله) وجدت نفسي في ضياع وانه لم يبق عندي من اسأله – حسب اعتقادي – فتوكلت على الله تعالى واعتمدت على نفسي في القراءة والمتابعة في علم المواريث فقمت بعمل مئات المسائل الافتراضية في هذا العلم وحلها حتى أصبحت المحكمة تعتمدني بعدها).

ومما يذكر عن الشيخ (رحمه الله) أيضا : انه استفتاه رجل يوما فأفتاه (رحمه الله) فسببت تلك الفتوى للمستفتي غرامة ، فلما علم الشيخ (رحمه الله) بذلك دفع للمستفتي ذلك المبلغ الذي غرمه لأنه علم انه كان سببا في غرامته .

ومن فقهه أيضاً : يرى أن الربا اشد خطرا على الفرد والأسرة والمجتمع فما كان يحذّر الناس من شيء أكثر من تحذيره لهم من أكل الربا لما فيه من مساوئ تعود على الفرد والمجتمع على حد سواء ، ويستدل لذلك بقول الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ & فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ)[1] .

ومن فقهه (رحمه الله) أيضا : كان يكره كراهةً شديدة تخصيص أحد الأبناء بالهبة والعطية دون الآخرين حتى ولو كان ذلك الابن أشد حاجة من غيره .

كان الشيخ عبد الرزاق (رحمه الله) وقّافا عند أوامر الله ونواهيه عاملا بكتاب الله وسنة نبيه (ﷺ) وبقدر ما يستطيع أداءه ، وكان يعتمد أيضا على مصادر الاستنباط التبعية التي يعتمدها العلماء والذي يتابع فقه الشيخ يلاحظ انه كان كثيرا ما يعتمد (باب سد الذرائع) فكان (رحمه الله) ينهى عن الكثير من المباحات خشية الوقوع في الحرام .

فمن ذلك : انه يحرّم دخول التلفزيون إلى البيوت ومن المعلوم أنه آلة كما يمكن استخدامها بالوجه الممنوع فيمكن استخدامها بالوجه المشروع ، ولكن سداً لذريعة الفساد الذي يظهر في أغلب برامجه كان ينهى عن اقتناءه ومتابعته عملا بقاعدة (درء المفاسد مقدمة على جلب المصالح) .

(١) – سورة البقرة الآية (٢٧٨-٢٧٩) .

issn:2071-6028

ومن ذلك أيضاً : كان يمنع أن تخرج البنت أو المرأة للتعليم بعد مرحلة السادس الابتدائي مع انه أمر مباح ولكن سداً لذريعة فساد المجتمع كان يمنع من ذلك حفاظا على كرامة المرأة ، فكان يعتقد أن بيت المرأة هو المكان الأكثر أمانا لها .

ومن ذلك أيضاً : انه كان لا يرضي أن يذهب احد من أبنائه إلى الكليات سداً لذريعة ابتعاد طالب العلم عن أداء دوره في المسجد ، فضلاً عما يقع فيها من مفاسد الاختلاط والتبرج

وغيرها من الأمور التي يعلم كثير من أقربائه وخواصه فقهه ورأيه فيها عملا بدليل سد الذرائع وعدم فتحها أمام الناس واعتماداً على قاعدة (درء المفاسد مقدمة على جلب المصالح) ، ومن المعلوم أن من يمنع نفسه من المباح خشية الوقوع في الحرام فقد بلغ درجة الورع التي يسعى لها أهل العلم والصلاح .

إن فقه الشيخ (رحمه الله) وكثرة مطالعته وسعة صدره وحلمه وصبره وكثير من صفاته الطيبة ، إضافة إلى تواجده المستمر في الصلوات الخمس في المسجد أكسبته ملكة فقهية وأرضية واسعة استطاع من خلالها احتواء كثير من المشاكل التي واجهت الناس في عصره ولاسيما في قضاء هيت ونواحيها ، حيث كثرت في زمانه فتاوى الطلاق والمواريث وغيرها من الأحكام الشرعية في فقه المعاملات والأحوال الشخصية من جراء الحرب العراقية الإيرانية فكان أهل هيت يقصدون الشيخ (رحمه الله) يسألونه ، حتى أصبح موضع ثقة الناس وأهل العلم من معاصريه .

يقول الشيخ عبد الغفور (رحمه الله) : (كان الشيخ عبد الرزاق (رحمه الله) موضع ثقة الجميع يؤم الناس في الصلوات الخمس ويجيبهم على أسئلتهم الدينية المختلفة ويفتيهم في الطلاق والبيع والشراء وفق الشرع الإسلامي الحنيف وهو يلازم الجامع وكثيراً ما ترفع له المسائل في الميراث ويقسمها حسب الشرع الحنيف دون مقابل من مال أو جاه أو حاجة أخرى ...)

ويقول الدكتور احمد جمعة : (سألت الشيخ ذو النون خميس (رحمه الله) عن مسألة كنت سالت عنها الشيخ عبد الرزاق (رحمه الله) وقد فهم مني ذلك فقال لي عبارة – أنا مسئول أمام الله تعالى عن صحتها – وهي قوله : (إذا سالت حجي عبد الرزاق عن شيء فلا تسال أحدا بعده) .

وقد رأيت إصراراً من الشيخ عبد الرزاق (رحمه الله) على حكم مسألة في المواريث ، وكان هذا الحكم يخالفه فيه اثنان من حملة شهادة الدكتوراه ومن المختصين ولم ينفظ المجلس حتى شهدا بصحة ما ذهب إليه الشيخ بعد مراجعة المسألة ، فلم يكن إلزامه الناس مع نفسه التقليد إلا للظفر بالسلامة لنفسه ودينه .

وإصراره في آرائه كان عن شدة تتبعه للآراء في المسألة الواحدة التي يعطي رأيه فيها ، واني لأذكر جيداً أيام الحرب العراقية الإيرانية جيء بأحد القتلى ، فلما علم بأنه مات في المستشفى

issn:2071-6028

بعد أيام من جرحه أصر على أهله أن يغسلوه وكان إصراره على رأيه قد يعرضه للمسائلة في وقتها لكنه أعطاهم الحكم الصحيح من غير خوف .

ومما يذكر عنده في مجال الفقه (رحمه الله) أنه لم يكن يهمل ما يوصف بالضعيف من آراء الفقهاء – وهو يدخل ضمن منهج السلامة للنفس وللدين – ففي مرة نسي إمام صلاة العيد التكبيرات في إحدى ركعتي العيد وكان هو ضمن المصلين فلما هم الإمام أن يرقى المنبر بأداء خطبته أرجعه لإعادة الصلاة فاستغرب الناس واعترضوا لكن الإمام استجاب لطلبه ، وبعد مراجعة المسألة وُجد أن بعض الفقهاء يقولون بان تكبيرات العيد وان لم تكن من فرائض الصلاة فإنها شعيرة لا تتكرر فلا بد من الإتيان بها ولا تجزئ سجدتا السهو عنها .

إن من يعرف الشيخ (رحمه الله) حق المعرفة يلاحظ عنده تواضعا أمام آراء أهل العلم قل نظيره ، وهذا التواضع يجعله يغضب إن حصل اعتراض على أحدها ، وكان (رحمه الله) يظهر بالتواضع لأهل العلم وان كانوا اصغر منه سناً بشرط أن يكون صاحب الرأي عالما أو طالب علم يحترم العلماء ، وفي هذا المجال اذكر ذلك لله تعالى ثم لبيان ذلك عنده : أنني يوما ذكّرته بحكم نحوي هو يعرفه أكثر مني وكنت يومها في المرحلة الأولى من الكلية ، ولكنه لم يغضب ولم يرفض ذلك مني بل قال أمام جميع المصلين بعد أن تذكر الحكم (وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً)[1] – ثم يقول الدكتور احمد – : وفي جانب الفقه رأيته يؤثر جانب السلامة لنفسه بإلزام نفسه وغيره بالتسيلم لآراء العلماء ، وهو يفهم بعد أن تربى على يد مشايخه أن هذا طريق السلامة بعد أن افتُقدت شروط الاجتهاد وفُقد المجتهد ، وهو أمر يمكن أن تجعل السبب فيه الورع الذي كان يهتم به ، فقد وجدت أن رأيه له مكانة عند من يعرف للعلم مكانه من غير المغرورين) .

والحقيقة إن مسيرة الشيخ عبد الرزاق (رحمه الله) العلمية والعملية والبيئة التي نشأ فيها وتأثره بالشيخ عبد العزيز السامرائي (رحمه الله) والمكان الذي اشغله في وظيفته بالإضافة إلى ما تقدم من صفات ، أهله ذلك كله لان يكون إمام وخطيب اكبر جوامع هيت وان يكسب ثقة الناس في فتواه وان يكون المرجع لهم في كل ما يحتاجون إليه في أمور دينهم وما يتعلق بأحكام الشريعة الإسلامية الغراء .

ومن الطرف التي تذكر هنا : يروي الدكتور عبد الستار إبراهيم رحيم جدي عن أبيه (رحمه الله) : (انه في عام ١٩٦٧ كانت رفقة الحج مع الشيخ النبهاني (رحمه الله) تضم مجموعة من العلماء والحجاج من هيت والرمادي والفلوجة ومنهم : الشيخ إبراهيم جدي والشيخ عبد الرزاق والحاج عبد الرحمن السعدي – والد الشيخ الدكتور عبد الملك (حفظه الله) – والمعروف بـ (عبود

(١) – سورة طه من الآية (١١٤) .

issn:2071-6028

السعدي) والرجل الصالح عبد الله الحديد ، فاتفق هؤلاء أن يلتزموا بحسن العشرة في الحج ويطبقوا قوله تعالى (فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ)[1] فقرروا : أن من يغضب ويرفع صوته فعليه أن يأتي بخمس كيلوات برتقال يوزعها في السكن ، فكان أكثرهم خسارة الحاج عبود السعدي والشيخ إبراهيم جدي (رحمهما الله) ، فكل يوم تراهما يأتيان بخمس كيلوات برتقال التزاما بالشرط لان السبب يتحقق عندهما يوميا إن لم يتكرر في اليوم عدة مرات ، وبالمقابل أكثرهم فوزا هما الشيخ عبد الرزاق حبيب والحاج عبد الله حديد ، وقبل انتهاء الرحلة تفاجئوا بان الشيخ عبد الرزاق والحاج عبد الله حديد جاءا يحمل كل واحد منهما بكيس من البرتقال ففرح الحاج عبود السعدي فقال لهما (ها اشسويتووجبتو برتقال ؟ فقال له الحاج عبد الله حديد : ألم يقل العلماء أن الدماء نوعان دم جبر ودم شكر ، فنحن جئنا بهذا كدم شكر لا جبر ولم يقع منا جدال ، فرفع صوته وقال لهما باللهجة الهيتية (انتوشكولات تزعلون انتو تدقون مدينة وتحلون من الظهر) فقال له الشيخ عبد الرزاق : أنت الآن استوجبت جزاءً جديداً اذهب فاتِ بخمس كيلوات برتقال ووزعها) .

ومن الطرف التي تذكر في هذا الجانب أيضاً : يقول الدكتور محمد جاسم معروف : أن رجلين من أهل هيت اختصما في مسالة فقهية وهما في الرمادي فاحدهما يقول للآخر (من نرجع نسال الشرع) فقلت لهما من الشرع فقالا حجي عبد الرزاق .

المطلب الخامس

جهوده في الدعوة

فبالإضافة إلى ما ذكرنا من كونه إماماً وخطيبا في قضاء عنة وواعظاً سيّاراً في قضاء راوة فان الشيخ (رحمه الله) حينما استقر في هيت وأصبح إماماً وخطيبا في أكبر جوامعها جعل منه قاعدة ينطلق إلى الوعظ والإرشاد في القرى والنواحي التابعة لمدينة هيت ، فكان منهجه منهج شيخه الشيخ عبد العزيز (رحمه الله) بان يعلم تلامذته على الدعوة من بعد أول سنة يدرس فيها العلم ، ولذا فمنذ السنين الأولى من تلقيه العلم وهو يجوب المساجد في القرى والأرياف واعظاً ومرشداً وخطيباً ، واسأل – إن شئت – عنه كبار السن في قرى هيت والفلوجة ومساجدها ، فلقد رافقه كثير من طلبة العلم في جولات وعظية ودعوية منها في المحمدي وتل اسود وعنك الهوى والدولاب وقرى أخرى لا يمكن حصرها في مثل هذا الموضع لكثرتها .

كان (رحمه الله) يعتكف في جامعه في شهر رمضان المبارك منذ صلاة الفجر إلى صلاة العصر ثم يقوم بإلقاء الوعظ بعد صلاة العصر طيلة أيام شهر رمضان ويعتبر ذلك من القضايا

(١) – سورة البقرة من الآية (١٩٧) .

issn:2071-6028

المهمة التي لا ينبغي للعالم تركها ، ويروي لنا كثير من أصحابه وأقرانه انه كان يصلي المغرب في الجامع الشرقي ليشرف على رفع النداء من جامعه ثم يفطر في بيته ويخرج إلى إحدى القرى القريبة مع احد طلبة العلم أو مع صاحب سيارة ليستعين به في إلقاء الدروس والمواعظ في تلك القرى ، إما في مسجد إن كان فيها مسجد أو في إحدى الدواوين أو الساحات التي يمكن جمع الناس فيها وبقي يسير على هذا المنهج إلى أن كبر سنه وأصابه المرض أخر حياته .

ومن المواقف التي تذكر له في هذا الجانب – وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر – انه حينما سعى بعض الناس إلى فتح دار للسينما في هيت أنكر ذلك إنكاراً شديداً وخرج بوفد إلى محافظ الأنبار مع كوكبة من علماء هيت ووجهائها ليمنع ذلك وبتوفيق الله تعالى وقوته تمكنوا من منع ذلك ولله الحمد والمنة .

وكتب في مذكراته الشخصية في كشكوله الخاص : انه قد التقى بأهل الدعوة والتبليغ الذين قاموا بزيارة له في الستينات من القرن الماضي في جامع هيت الشرقي وكان يرأس ذلك الوفد في حينها الشيخ (محمد عمر بالنبوري) ونقل عنهم طريقتهم في الدعوة بتفاصيل دقيقة جداً توضح كيفية الخروج في سبيل الله والدعوة إليه وكتب منهجهم بما يزيد على صفحتين والذي لمسته من عرضه لطريقتهم انه كان متأثراً بهم .

ثم انه جعل من جامع هيت الشرقي مدرسة صيفية لتعليم القران الكريم ، ففي السبعينات من القرن الماضي بدأ بفتح الدورات الصيفية كل عام ، فيستأجر المدرسين الذين يعلّمون القرآن الكريم ويخصص مكاناً لهم إما في طرمة الجامع أو في الغرف التابعة له ، وكان يجمع الأموال لسد رواتب المدرسين الذين كانوا يعلّمون القرآن الكريم : ومنهم المرحوم محمد منصور السعدي والمرحوم السيد طالب عز الدين والمرحوم السيد كريم علاوي (رحمهم الله) وملا شهاب ذياب .

وكان طالب القرآن إذا أتم قراءة القرآن تلاوة يدخل الاختبار النهائي فيُعلم الملا الشيخ عبد الرزاق (رحمه الله) أن فلانا قد أتم قراءته تلاوة ، فيدعو الشيخ ذلك الطالب ليدخل مرحلة الاختبار فيدخل غرفته ويُخرج القرآن الكريم ويقول له الشيخ افتح صفحة كذا واقرأ ، ويفعل ذلك في عدة مواضع من القرآن الكريم فإذا علم منه انه أتقن قراءة القرآن الكريم أهدى له نسخة جديدة من كتاب الله تعالى تشجيعاً منه على مواصلة قراءته ، وهذا من باب عنايته بالشباب والجيل الذي يجب رعايته وتوجيهه إلى كتاب الله تعالى .

ومن طرائف ما يذكر عنه في هذا الجانب : يقول الشيخ (رحمه الله) : كلفني الشيخ عبد العزيز (رحمه الله) بالخطبة في قرية المحمدي فكنت اذهب إليها مرارا ، وذات مرة ذهبت لأخطب الجمعة فلم أجد أحدا منهم فلما سالت عن سبب ذلك علمت أنهم ذهبوا لجلسات الطرب ، فعدت

issn:2071-6028

ولم اخطب وأخبرت الشيخ بذلك فقال لي كان عليك أن تذهب بالقرب منهم وتؤذن بالصلاة وهم يأتوك فقال فسكت ولم أجرأ على فعلها ، ثم قال : لكن الشيخ عبد العزيز لو كان بمكاني لفعلها

المطلب السادس

تصوفه

نشأ الشيخ عبد الرزاق (رحمه الله) على يد مشايخه الكبار الذين كانوا يسقونه حب العلم ممزوجا بالتربية والسلوك التي تهذب طالب العلم وتوجهه التوجيه الإسلامي الصحيح بعيداً عن الغلو والتطرف متمسكا بتعاليم الشريعة الإسلامية الغراء .

إن منهج الشيخ (رحمه الله) في التصوف يتجلى في التطبيق الواقعي والفعلي لأوامر الله تعالى واجتناب نواهيه فكان (رحمه الله) يحافظ على الصلوات الخمس في المسجد مداوماً على الأذكار الواردة بعدها والمأثورة عن النبي وصحابته والتابعين لهم بإحسان ، وكان يواظب على السنن الرواتب والمؤكدة أيضاً كالوتر والضحى ، وكان يواظب أيضا على صيام الأيام الفاضلة التي وردت فيها أحاديث وآثار ترغب في صيامها .

يقول الشيخ عبد الغفور فواز (رحمه الله) : (وكثيراً ما تجده صائما يومي الاثنين والخميس ومنذ أن كنا طلابا ، فسألته عن سبب صيامه هذا فقال (رحمه الله) : (كان رسول الله يصومهما حيث (تُعْرَضُ الأَعْمَالُ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَالخَمِيسِ، فَأُحِبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ)[1] فأصوم اقتداءً برسولنا الأعظم محمد) ، وكان كثيرا ما يقصد بيت الله الحرام حاجاً ، أما دوره في رعاية الأيتام والفقراء والمساكين فقد تناولناه في مطلب مستقل من هذا البحث أوضحنا فيه جهوده التي بذلها في هذا الميدان .

فهذا هو التطبيق الصحيح لأوامر الشرع الحنيف عند أهل التصوف والسلوك ، وذكر في كشكوله الخاص رأيه في التصوف بأنه قول وعمل وتطبيق لأحكام الشريعة الإسلامية الغراء فوجد مكتوباً بخط يده : (التصوف هو أن تعمل بما تعلم كما ورد في الأثر عن أحد التابعين : (من عمل بما يعلم ورثه الله علم ما لم يعلم)[2] فالصوفي هو الذي يطبق العبادات المشروعة على أسرارها

(١) – سنن الترمذي محمد بن عيسى بن سورة أبو عيسى الترمذي (ت٢٧٩) تحقيق : مجموعة من العلماء ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ط٢ (١٣٩٥هـ – ١٩٧٥) ١١٣/٣ برقم (٧٤٧) وقال الترمذي : حسن غريب .

(٢) – حلية الأولياء وطبقات الأصفياء : أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ) مطبعة السعادة ، مصر (١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م) بيروت ، بدون تحقيق قَالَ الشَّيْخُ أَبُو نُعَيْمٍ : ذَكَرَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ هَذَا الْكَلَامَ عَنْ بَعْضِ التَّابِعِينَ عَنْ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَوَهِمَ بَعْضُ الرُّوَاةِ أَنَّهُ

issn:2071-6028

المودوعة ، فمثلا : الصلوات الخمس التي هي احد أركان الإسلام فواجباتها معلومة فإذا أداها على ما ذكرت من الفقه من تعديل الأركان والقيام والقراءة والركوع والسجود والتشهد والجلوس والسلام فإذا أتى بها فقد صحت صلاته ، ولكن الثمرة التي هي المطلوب أن يحصل عنده حضور القلب والخشوع في جميع ذلك ، ومثلاً أيضا : الصيام فهو الإمساك من الفجر إلى المساء في شهر رمضان والذي يؤدي ذلك فقد أدى الغرض ، ولكن الثمرة التي تحصل هي آثارها وإنما تحصل بحضور القلب والخشوع وصيانته عن الشبهات في المأكل والمشرب وصيانة القلب واللسان عن الغيبة والنميمة وقول ما لا يعني ، وهكذا جميع أركان الإسلام كالشهادتين والحج أيضا يلزم من أدائهما حضور القلب والخشية فان أركان الإسلام إذا قام بها المسلم فقد أداها بصورتها ولكن الثمرة هي الإخلاص وحضور القلب – ثم أنهى كلامه – بقول الشاعر :

وفي العيد عادات الكرام وقد جرت ببر اليتامى وافتقاد الأرامل)

ويقول الدكتور احمد جمعة عنه في هذا المجال : (وثمة أمر كثيرا ما يثار الجدال فيه عنده ، وهو التصوف الذي يعرف انه ينتمي إليه وبحد علمي انه كان قد أخذه تربية على يد شيخه الشيخ عبد العزيز السامرائي (رحمه الله) ، والذي يسجل له في هذا الجانب انه لم يتجاوز فيه حد ما يجيزه العلماء ومنهج التسليم بأقوال العلماء هو الذي دعاه إلى التوقف وعدم الإنكار ، مع انه (رحمه الله) لم يفرض هذا المنهج على احد ، فكنت من مرافقيه في سني حياته الأخيرة وهو يعلم أنني قد لا اقتنع ببعض ذلك ، ومما يذكر له في هذا المجال أن الشيخ (رحمه الله) لم يقبل بما يخرج عن حدود الشرع مما قد يقع على يد بعض أهل الطرائق ، ولم يكن قريبا منهم ولا ممن يؤيدهم وهو في هذا شأنه شأن أغلب علماء وقته الذين صنفهم أهل الطرائق بأنهم أعدائهم لعدم إقرارهم لبعض ما يفعلون ومن الإنكار عليهم وهو لا يحب أن تشيع أفعالهم هذه بين الناس ، فيوماً من الأيام أمسك بأحد الشباب الذين أثرت بهم بعض تلك الأفعال فامسك به في الجامع يحمل قضيبا من الحديد (درباشة) فقال له أمامي وبحضور غيري : ليس هذا هو الدين فانتبه لدينك وطلب منه عدم إدخال هذه الأمور إلى المسجد ، ولما رأى من هذا الشاب شدة في الاندفاع بالتمسك بهذه الأمور التي ظن أنها من الدين قال له بأنك يجب أن تنتبه لنفسك فلربما يأتي عليك يوم وإذا بك تارك للصلاة ، وأُشهد الله تعالى أنني رأيت هذا الشاب بعد سنوات يدخن في سوق هيت في نهار رمضان .

ذَكَرَهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ١٥/١٠ ، وفي سنن الدارمي (عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ قَالَ: أَجْهَلُ النَّاسِ مَنْ تَرَكَ مَا يَعْلَمُ، وَأَعْلَمُ النَّاسِ مَنْ عَمِلَ بِمَا يَعْلَمُ) ٥٣٥/١ برقم (٣٤٢) .

issn:2071-6028

إذن فتصوف الشيخ (رحمه الله) كان متمثلا في حب النبي والصالحين وجواز التوسل بهم عند الدعاء ، ولا أذكر انه أجاز استعانة بأحدهم من دون الله وما يذكر من جوازه للاستعانة بهم لا يتعدى جانب التوسل بجاههم إلى الله تعالى وهو أمر فيه ما فيه من الخلاف .

ولكي تتضح صورة التصوف عنده (رحمه الله) أجد من المهم أن اذكر أمراً : وهو أن احد الطلبة طلب منه أن يعطيه ورداً فقال له : أنصحك يا ولدي بالاهتمام بدروسك فأنت طالب في المدرسة فاهتم بها ، فالشيخ النبهاني (رحمه الله) جاءه من يطلب منه مثل طلبك فقال له : وردك دروسك في المدرسة وأنا أقول لك مثل قوله ، فتوجيه كهذا يوضح الحقيقة لمن يطلبها بصدق) .

فهذا هو الواقع العملي لتصوف الشيخ (رحمه الله) ومثال جلي في توجيهه الناس التوجيه الإسلامي الصحيح وتوضيحه لهذا المنهج بصورة خاصة .

ويذكر الشيخ عبد الغفور فواز (رحمه الله) عنه في هذا الجانب أمراً يقول : كنت اركب مع الشيخ عبد الرزاق (رحمه الله) في سيارته وكثيرا ما كان يصحبني معه في سفراته داخل القضاء وخارجه وكان (رحمه الله) يحب سماع القصائد التي تشدو بمدح النبي وكنت أسمعه يردد دائما قول الشاعر :

أحب الصالحين ولستُ منهم وأرجو أن أنال بهم شفاعة[1]

وكنت اعرف مكانته في فقهه وزهده وكرمه وتقواه فأقول له (رحمه الله رحمة واسعة) مداعباً :

تُحب الصالحين وأنت منهم وتعلو فوقَهم شبراً وباعا

المطلب السابع

رعايته للأيتام والفقراء والمساكين

لقد عاش الشيخ عبد الرزاق (رحمه الله) مع الفقراء والمساكين والأيتام والمحتاجين وغيرهم من أصحاب الحاجات ، فكان يتفقدهم ويرعاهم بسرية وكتمان حفاظاً على سمعتهم وإبقاء لتعففهم ، فكان من القلة القليلة الذين كان الفقراء يثقون بهم ويطلبون منهم خفية فكان يراعي شعورهم وأحاسيسهم .

يقول الشيخ عبد الرزاق توفيق يقول لي الشيخ عبد الرزاق (رحمه الله) : (عندما أريد أن اعرف حالة الشخص المادية وهل انه فقير أم لا ؟ اسأله : هل حججت بيت الله الحرام حتى لا أشعره بأنه فقير أو صاحب حاجة فإذا عرفت فقره أو حاجته واصلته بما استطيع مواصلته فيه) .

(١) شرح الشفا : علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ) دار الكتب العلمية – بيروت ط١ ، ١٤٢١ هـ .

issn:2071-6028

ومما يلزم ذكره في هذا الجانب : أن له أسلوبا في إيصال المساعدات إليهم ، وهو انه حينما يأخذ أحدا لإيصال المال إلى فقير يقول له : ضع المساعدة على بابه واطرق الباب وامش بحيث لا يراك أهل الدار ، أو يقف هو بعيدا بحيث لا يراه الفقير ويطلب ممن معه إعطاء المساعدة لمن يفتح الباب من غير ذكر المصدر .

ومما يذكر أيضا في هذا الجانب : أن الشيخ (رحمه الله) كان رئيس الجمعية الخيرية للبر والإحسان في قضاء هيت منذ عودته من الفلوجة إلى وفاته (رحمه الله) يتفقد الأيتام والفقراء والمساكين والمحتاجين وعوائل الشهداء وأبنائهم ويعاونهم بما يخفف عنهم كاهل الحياة وثقلها ويواسيهم بما يسد حاجتهم الضرورية وهي مهمة أخرى تضاف إلى مهامه المتقدمة ، فكان (رحمه الله) عونا للفقراء والمساكين ولاسيما طلبة العلم منهم فكان خيمة من خيم عدة غطت حاجة المتعففين وغيرهم آنذاك.

ومن الطرف التي تذكر في إسراعه لمساعدة الأيتام والفقراء : أن الحاج عبد الأمير سيد إبراهيم والحاج عبد الوهاب الزوري قالا : قلنا يوما للشيخ عبد الرزاق (رحمه الله) – من باب الطرافة – حجي نحن نعرف أيتاما جيراننا ويحتاجون إلى المساعدة ، فأسرع بإخراج محفظته ليعطينا مالا فقلنا تعرف منهم الأيتام ؟ فقال : لا وإنما اكتفي بتزكيتكما لهم فقلنا له : كلانا يتيما الأبوين فاخذ يضحك مستغرقا فيه وأعاد المال إلى محفظته (رحمه الله تعالى) .

المطلب الثامن

علاقاته الاجتماعية

لم يكن الشيخ عبد الرزاق (رحمه الله) بعزلة عن الناس بل كان يشاركهم أفراحهم وأتراحهم وجميع مناسباتهم باعتباره احد وجهاء القضاء ، فكان يلبي دعوة الأعراس وتوديع الحجاج واستقبالهم وحفلات الختان والمناسبات الدينية وكل مناسبة مشروعة سواء كان الداعي له جارا أم غيره قريبا أم بعيدا .

كان (رحمه الله) يتفقدهم ويواسيهم في مصابهم ويعود مرضاهم ويشيع جنائزهم ويسير في حوائج كل من يكلفه بمشكلة أو معضلة حتى يحلها له ، وكان (رحمه الله) يسعى في الإصلاح بين الناس وحل مشاكلهم عائلية كانت أم عشائرية ، وكان متواضعا مع الصغير والكبير مرحا يحاول إرضاء الجميع قدر المستطاع ، حتى أن بعض المصلين كان يؤذيه بالكلام وهو يضحك له ويضرب على أكتافه عملا بخلق النبي (ﷺ) .

وكان (رحمه الله) يواصل أهل وده وأقربائه ، القريب منهم والبعيد في أفراحهم وأحزانهم وكذلك في الأعياد والمناسبات وكانت له مكانة كبيرة بين عائلته (آل حبيب) فكانوا يمتثلون أمره ويسمعون

issn:2071-6028

كلامه ويلتزمون به ويبغون رضاه ، وهو بالمقابل يعلمهم الآداب الفاضلة والأخلاق السامية ويحذرهم من ترك العادات والأخلاق الاجتماعية الطيبة التي ورثها عن آبائه وأجداده وتربى عليها هو وأقرانه.

كان (رحمه الله) يعد الأسوة الحسنة لجميع عائلته ، وكان إذا علم أن هناك خصاما داخل العوائل يذهب إلى كلا الطرفين ويحاول جاهدا أن يصلح بينهم ، فكثيرا ما لا يرده احد بل الكل يحترمه ويحبه فكان يعتبر الشيخ الأكبر في العائلة الكريمة في المكانتين الدينية والاجتماعية .

ومما يذكر هنا أيضاً : انه كان يصنع وليمة إفطار كل يوم عيد يجتمع فيها كبار أهل هيت ووجهائها وكذلك الفقراء والمساكين وغيرهم حتى أصبحت سنة حسنة كل يوم عيد تقام هذه الوليمة في دار الشيخ عبد الرزاق (رحمه الله) ولا تزال هذه السنة صدقة جارية قائمة إلى يومنا هذا تكتب له في سجل حسناته بفضل الله تعالى ثم ببركته وبسلامة أبنائه البررة .

ومن الطرف التي تذكر في هذا الجانب ومدى علاقته بالناس : انه ذات يوم أوقف سيارته عند دكان الحاج مجيد حجي محمد (رحمه الله) وكان على السيارة (سيباية) ، فلما دخل الحاج عبد الرزاق إلى الجامع ليصلي العصر باع الحاج مجيد (السيباية) لرجل من المارة على أنها له ، فلما أنهى الشيخ صلاته وخرج من المسجد رأى ذلك الرجل يخلع (السيباية) عن السيارة ، فسال الشيخ الرجل لم تفعل هذا ؟ فقال الرجل اشتريتها من (مجيد حجي محمد) فضحك الشيخ عبد الرزاق (رحمه الله) وقال له وبكم اشتريتها منه ؟ قال بتسعة دنانير ، فأعطاه الشيخ تسعة دنانير وذهب وهو يضحك مما فعله الحاج مجيد حجي محمد .

المطلب التاسع

الحالة السياسية التي عاصرها وتقلباتها وموقفه منها

إن من يستقرأ توجه أولئك الرجال من أمثال الشيخ عبد الرزاق (رحمه الله) من هذه الناحية يجد أنهم يبغون السلامة لدينهم وأنفسهم ، ولذا لا تجد تماسا ملحوظا مع الحكومات والسياسات التي كانت تحكم البلاد ، كما يبدو أن الشيخ عبد العزيز (رحمه الله) كان عنده هذا التوجه لذا سلك تلاميذه المنهج ذاته .

وعلى الرغم من ذلك فإنهم كانوا يقفون الموقف الحازم فيما إذا انتهكت حرمات الله علانية وظهر أمر ما يدعو إلى الإنكار ، ومما يذكر للشيخ عبد الرزاق (رحمه الله) في هذا الجانب والذي يذكره كبار أهل هيت : حينما كتبت بعض الصحف العراقية ما يدعو إلى الإنكار مما يُعتبر كفراً بواحاً ، وانتقدها جميع أئمة وخطباء العراق ، ارتقى الشيخ عبد الرزاق منبر الجامع الشرقي يوم الجمعة وردّ على تلك الصحف ومقولاتها الخطيرة وأثناء الخطبة طوق الجامع ورموا فوقه

issn:2071-6028

بالرصاص ، وبعد انتهاء صلاة الجمعة أصروا على أن يأخذوا الشيخ إلى السجن ، فوقف كبار أهل هيت ورجالاتها ووجهائها سدا منيعا دون ذلك ، ومنهم الحاج عناد سبتي هويشم (رحمه الله) وغيرهم ممن هيأهم الله تعالى لحماية الشيخ في ذلك اليوم ، وبعد أن عاد إلى منزله اعتقل في نفس اليوم وخرج في غضون أيام هو ومن معه بعد أن خرجت مظاهرات تطالب بالإفراج عنهم .

ويذكر أيضا أن الشيخ عبد الرزاق وغيره من تلاميذ الشيخ عبد العزيز (رحمه الله) كانوا يستغلون المناسبات الإسلامية لتوجيه الناس وتوعيتهم ويعتبرونه نشاطا إسلاميا وتوجها دعويا للرد على الأفكار الإلحادية والعلمانية والبهائية والقاديانية وغيرها من الأفكار الهدامة ، وبالمقابل كانوا يتلقون الاعتقالات والمسائلات من قبل السياسات الحاكمة .

كان الشيخ (رحمه الله) يحذر من الانتماء للأحزاب مهما كان هدفها فيقول الدكتور إبراهيم (حفظه الله) – ولده–(لم يكن والدي (رحمه الله) يميل إلى السياسة أياً كانت ولا إلى أي حزب من الأحزاب لاعتقاده إن الأحزاب لا تتناسب مع دور العالم في البلد بل عليه أن يجمع الجميع دون الالتفات إلى تلك الأحزاب والتوجهات ، وقد انعكس ذلك على أولاده ومن سار على دربه ، إذ كان والدي (رحمه الله) يحذرنا من الانتماء لأي حزب كان وان نبتعد عن كل عمل حزبي حتى ولو كان إسلاميا) .

ومع هذا كله فالملاحظ على الشيخ (رحمه الله) : انه كان يتعامل مع هذه السياسات الحاكمة على مختلف توجهاتها بحكمة وحسن تصرف مصحوبين بالصبر والحلم والذكاء ، فمع كونه إماما وخطيبا للجامع الكبير في هيت ويمثل إحدى الواجهات الدينية فيه إلا أنه لم يذكر عنه انه تقرب من سلطان أو طلب منه منفعة خاصة علما انه كانت لديه القدرة على ذلك .

يقول الدكتور أحمد جمعة : (ومما يمكن أن يضاف إلى جانب توخيه السلامة في دينه هو ابتعاده عن مواطن الفتن ، ففي بدء الحرب العراقية الإيرانية كان هو خطيب اكبر جوامع هيت وأبرزها وهو (الجامع الشرقي) وكانت الاستعانة به إعلاميا أمراً متوقعاً ولاسيما انه الشخصية الأكثر قبولاً وتأثيرا من غيره في المجتمع الهيتي ، ولأجل البدء معه بهذا الاتجاه جاءه من يخبره بضرورة حضوره إلى مقر الحزب في هيت عصر يوم إخباره فكانت استجابته لهذا التبليغ بان يذهب إلى مديرية أوقاف الأنبار في الرمادي ويقدم طلب إعفاءه من الخطبة ، وعند سؤاله عن عدم الحضور قدم لهم طلب الإعفاء) .

وبالمقابل لم يذكر عنه أيضا انه وقف ضد تلك السياسات أو تكلم على من كان يقف معها من إخوانه الأئمة والخطباء .

issn:2071-6028

وبعد دخول العراق الحرب العراقية الإيرانية أحست الدولة آنذاك بخطر الموقف فأرادت صوت الشعب وفي الوقت نفسه شعر الأئمة والخطباء بخطورة الهجمة الفارسية من قبل إيران فوقف الجميع يدا واحدة آنذاك ضد المد الفارسي الذي كان يحاول اجتياح العراق واحتلاله منذ سنوات طويلة ، والحق فقد كان للأئمة والخطباء موقفهم المشرف في هذا الجانب وحث الناس للوقوف ضد تلك الهجمة الفارسية الشرسة التي تقصد غزو العالم العربي والإسلامي بفكرها الفارسي عن طريق البوابة الشرقية للعراق .

المطلب العاشر

بعض وصاياه لتلاميذه وما كان يفيدهم به

ذكرنا في مطلب مستقل عددا من تلاميذ الشيخ عبد الرزاق (رحمه الله) وكانت له وصايا يوصيهم بها أهمها وصيته لهم بأداء الواجبات المفروضات من الصلوات الخمس في المسجد وصوم شهر رمضان ، وأداء الزكاة وحج بيت الله الحرام لمن كان عنده مال .

ومما كان يوصيهم بعد ذلك : الاهتمام بالدروس اليومية وتكرارها فكان يقول : (الدرس حرف والتكرار ألف) ، وكان إذا علم من طالب ضعفاً في حفظه قص عليه قصة ابن حجر (رحمه الله) فيقول له : يا ولدي إن الحافظ ابن حجر (رحمه الله) كان ضعيف الحفظ فمر ذات مرة على رجل يحز صخرة بحبل حتى ترك أثراً كبيراً فيها فانشد يقول : ألم تر أن الحبل بتكراره في الصخرة الصماء قد أثّرا

فتعلم ابن حجر (رحمه الله) أن تكرار الدرس يؤثر في رسوخه في الذهن فاخذ ابن حجر هذا المسلك في التعلم حتى أصبح (رحمه الله) خاتمة الحفاظ والمحققين .

كان (رحمه الله) يعلم طلابه سلوك التعلم وأدب الإفتاء وان العلم بالتعلم وان كان قليلا وان قليل العلم مع العمل أفضل من كثيره بلا عمل وكان يمتثل قول الشاعر :

وعالمٌ بعلمه لن يعملا معذب من قبل عباد الوثن

وذكرنا عن الشيخ (رحمه الله) انه كان لا يرضى أن يذهب أولاده إلى الكليات فكان يقول : إنها تبعد طالب العلم عن دوره في المسجد مع ما فيها من مفاسد الاختلاط وسوء ما يحصل فيها من منكرات ، فيقول الدكتور إسماعيل عبد الرزاق : (حين كتبت رسالتي في الماجستير عن الإمام عبد الله ابن المبارك (رحمه الله) أخفى عدم رضاه وحضر المناقشة وكان يقول لبعض الحاضرين فيها : (أنا لم ارض عليه دخوله الكلية لكن لما كتب عن سيرة الإمام عبد الله ابن المبارك (رحمه الله) وفقهه لم نعترض عليه بل أفادنا وأفاد الناس فيها) ، ولقد كان له الفضل الكبير الذي لا استطيع رد جميله فأقولها بصراحة – ليس لكوني ابنه – فعلى الرغم من نيلي شهادة

issn:2071-6028

الدكتوراه وبدرجة أستاذ فانه لا توجد أي معلومة تعلمتها خلال مراحلي الدراسية إلا وهي مبنية على الأساس الذي أسسنا عليه من بداية تعليمه لنا القراءة والكتابة ثم قراءة القران ثم قراءة العلوم بفنونها المختلفة ، واني لأذكر أول بيت خطه لي بيده لأخط مثله :

تعلّم قوام الخط يا ذا التأدبِ فما العلم إلا زينة المتأدبِ

وعلى رغم من شدة والدي (رحمه الله) وغلظته في طريقة التعليم وأنها كانت سببا من أسباب كثيرة أدت إلى ابتعاد كثير من الطلاب عن هذا المسلك ، إلا أننا بعد أن واصلنا طريق العلم أحسسنا بحرصه (رحمه الله) على طلبة العلم ، وان شدته كان الهدف منها تقوية الأساس الذي يبنى عليه طالب العلم والمواصلة به في هذا الطريق ، وان كنت أرى الآن خلاف ما كان عليه من طريقته الشديدة والتي أخذها تلقياً عن شيخه وطبع والديه فاني اذكر في عام من الأعوام أتاه من القرى والأرياف ما يقرب من (٦٠ طالباً) ولم يبق منهم سوى (١٥ طالباً) ، فكان بإمكانه أن يخفف من وطأته معهم ليكون أحفظ للعدد الكبير الذي كان بالإمكان الصبر عليهم والإفادة منهم لان الحاجة أصبحت ماسة لأمثالهم) .

ومما ينقل عنه ممن كان يحضر مجلسه في غرفته انه كان يحث طلاب العلم على طلبه ومواصلته وكتابته خشية الضياع ، فكان يعلم طلابه أبياتا من الشعر يحاول تحفيظهم إياها في فضل كتابة العلم وهي قول الشاعر :

العلم صيد والكتابة قيده قيد صيودك بالحبال الواثقة

فمن الحماقة أن تصيد غزالة وتتركها بين الخلائق شاردة

الخاتمة

بعد أن انتهينا من كتابة هذه الصفحات في مسيرة الشيخ عبد الرزاق (رحمه الله) العلمية والعملية نذكر هنا بعض فضائله وشمائله التي عرف بها وقد تناول بعضا منها الشيخ الدكتور احمد جمعة (حفظه الله) في قصيدته التي رثاه بها بعد موته جمع فيها كثيرا من خصاله لذا سنقتصر في هذه الخاتمة على ذكر هذه القصيدة والتي قال فيها:

issn:2071-6028

هوت ثلمة للدين قلتُ علامافقلتُ ألا لله
درّه عالمـاً فـوا
أسـفَ الإسـلام ممـا أصـابهُ
ويـا ضـيعةَ الـدينِ الحنيـف تقـدمي
فقـد غـاب عـن هـذا الوجـود مراقـبٌ
ويصـمدُ فـي وجـه الضـلال معانـداً
ويرضـى بمـا يُرضـي الإلـهَ تعـاملاً
ولـيس وأيـمُ الله يبغـي مناصـباً
فهـذي بيوتُ الله تشهد فضلَهفلا تعجبنْ
إن قلـتُ هـذي فـعالُه وانْ رمـتَ
إنجازاً يزيـدُه رفعةً مشـايخُ هبّوا
ناشرين لدينهِ وليس لهم والله
إلا كلامُـه اخـصُّ بهـم
ولِـداً لـه كـان همُهـوعلَّمهم أن الحيـاةَ
مذلـةٌ وأنَّ كـلامَ الله
خيـرُ معلِّمـومنْ لا يُعـادِ الكـافرينَ
ونهجَهُمـوانَّ طريـق الله حـقٌ وواضـحٌ
فَـذي إنْ أردتَ الحـقَّ بعـضُ مناقـبٍ
ويَكمُـن شـيخي منهجـاً بسـجيةٍ
سوى شرعةِ الإسلام وهو مرادُهوحُقَّ لنا
أنْنَبكيَنَّهُ عالماً ويا عاذلاً
دعْ عذلك اليوم إنَّنافلو كنتَ تدري من
يكونُ فقيدنافموتٌ كموتِ الشيخ يترك
ثغـرةً فهيـا نُعـزي المسـلمين
بفقـدهِ ونمشـي وركـبُ
الشيخ تَصحبُ ركبَنا ونجعلُ تقوى الله
نصبَ عيوننـا فيـا ربنـا وارحـم عُبيـداً
بجاهه وصلّ على خير الأنام محمدٍ

فقيل منونٌ قد أصاب إمامارمى موتُه
ديـن الأنـام سِـهامابفقده ركنـاً يَعتليـهِ
مقامـافمنْ كنـتِ تخشـينَ اعتراضَـه
قامـايكونُ علـى أهـل الفسـاد
حُساماوينشرُ دينَ الله حيثُ أقاماويأبى
اعتـزازاً أن يـذوق حرامابدعوتـه للخيـر
حتـى يُقاماوتعرفُـه فـي البـر شخصـاً
همامافضـلُ أبـي ابـراهيم حتمـاً
تنـامسفدونَك زرعاً قد بدا يتنامىوساروا
على نهج الفقيد نظاماإذا ما أرادوا أن
يعيشوا كرامايعلِّمُهم نهجاًيَقيهِم أثاماإذا
لـمْ يَفـق نهـجُ الحـلالِ حراماويـأتي لـه
قولُ الرسول تمامابفعلٍ لِصدق القول
يَلْـقَ أثاماومضـمونُه صـدقُ القلـوب
دواماوان رُمتَ تَعداداً عُدِمتَ مراماتقومُ
علـى ألا يقومَ نظامافأجدر بـه شرَفاً
كـذا وعظاماكريمـاً عـدا خطـوَ الكـرام
كرامانفـارق شـيخاً عنـوةً ولزامـاقرأتَ
علـى دين النبـي سـلاماإذا بَـقيَتْ فـي
الـدين قـد يترامـونترك فعلاًنفتَليـه
كلامالننهلَ منها قاعدين قيامالنحظى
برضـوان الكـريم وسـامافجاهُه مرفـوعٌ
لديك مقاماحبيباً به ذابَ الفؤادُ غراما

issn:2071-6028

قائمة المصادر والمراجع

١ – حلية الأولياء وطبقات الأصفياء : أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ) مطبعة السعادة ، مصر (١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م) بيروت ، بدون تحقيق .

٢ – سنن الترمذي محمد بن عيسى بن سورة أبو عيسى الترمذي (ت٢٧٩) تحقيق : مجموعة من العلماء ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ط٢ (١٣٩٥هـ – ١٩٧٥) .

٣ – صحيح مسلم : الإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت

٤ – مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي) أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي (ت ٢٥٥هـ) تحقيق: حسين سليم أسد الداراني دار المغني للنشر والتوزيع، السعودية ، ط١، (١٤١٢ هـ – ٢٠٠٠ م) .

وكذلك من المصادر التي اعتُمدت النقولات التي نُقلت عن الشخصيات التي عاصرته في أيام طلبه للعلم أو في حياته العملية ونذكر بعضا منهم في ثنايا البحث ونلك من خلال الدراسة الميدانية التي أجريت عن طريق اتصالنا بهم ، وكذلك ما كتبه عنه زملاؤه وأبناؤه وطلابه الذين أفادونا بمعلومات وافية عنه جزاهم الله خيرا ، ومن المصادر المهمة التي اعتمدت أيضا كتبه الخاصة ودفاتره التي كان يدرس فيها أيام طلبه للعلم ، وكذلك إضبارته الخاصة وكذلك إضبارة جامع هيت الشرقي

issn:2071-6028